

# لنرد الاعتبار للحمار

## دراسة فلسفية اجتماعية

إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم الجوف



# هذا الكتاب بقلم ..

## إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الجوف

**المؤهل** : بكالوريوس من كلّية التجارة ( العلوم الإدارية حالياً )

**الجهة العلمية** : جامعة الرياض ( الملك سعود حالياً )

**المناصب** : عمل مديراً لأحد البنوك سابقاً ومحاسباً قانونياً حالياً

## الكتب التي صدرت

- ألف من النكت والتعليقات الساخرة .
- حوار مع جدتي .
- الحرب العراقية الأمريكية .
- من الدمام إلى الشام .
- نافذة على الحياة .
- من المهد إلى اللحد .
- لنرد الاعتبار للحمار .
- الجمال والجميلات .
- رسائل الجوال .



المؤلف/ إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الجوف

دار الكفاح للنشر والتوزيع
KIFAH
AL-KIFAH PUBLISHING HOUSE



الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الجوف
الخبر ٣١٩٥٢ ص.ب ٣٨٤٩
المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية
تلفون وفاكس ٨٩٠٢٥٦٦-٠٣
جوال ٠٥٠٥٨٠٥٨٠٣
ايميل

jowfman2002@yahoo.com

ⓒ إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الجوف ١٤٢٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجوف : إبراهيم بن عبد الرحمن

لنرد الإعتبار للحمار / إبراهيم بن عبد الرحمن الجوف. الخبر
١٤٢٥ هـ
١٤٦ ص ؛ ٢١ سم
ردمك . ٧ـ ١١٥ـ ٤٦ـ ٩٩٦٠

١. المقالات العربية أ. العنوان
ديوي ٨١.        ١٤٢٥ / ٣٣٤٥
رقم الإيداع : ٣٣٤٥ / ١٤٢٥
ردمك : ٧ـ ١١٥ـ ٤٦ـ ٩٩٦٠




دار الكفاح للنشر والتوزيع
AL-KIFAH PUBLISHING HOUSE

الإدارة العامة :
الدمام - شارع الملك خالد - حي الربيع
تلفون : ٨٣٣٠٥٠٧ ٠٣ - فاكس : ٨٣٣٠٥٩٩ ٠٣

General Administration :
Dammam - King Khalid St. - Rabie Area
Tel.: 03 8330507 - Fax : 03 8330599

الفروع :
الدمام - الشارع الأول - تلفون : ٨٣٠٢٣٢٢ ٠٣ - فاكس : ٨٣٤٣٦٣٣ ٠٣
الخبر - مجمع الراشد - تلفاكس : ٨٩٤٧١٦٢
الدمام - العدامة - تقاطع ١٣ - تلفون : ٨٠٥٨٧٧٥ ٠٣
الرياض - الديرة - شارع العطايف - تلفون : ٢٨٧٦٧١٨ ٠١ - فاكس : ٢٨٧٦٧١٩ ٠١
جدة - شارع فلسطين - تلفون : ٦٧٥٥٩٥٠ ٠٢ - فاكس : ٦٧٥٥٢٨٥ ٠٢
E-mail : publishing_house@kifahprinters.com

تصميم الغلاف والإشراف الفني
الكفاح للإبداع والتصاميم
الصف الضوئي :
مطابع الكفاح - الدمام
التنفيذ الطباعي
مطابع الكفاح - الدمام

Covering Design & Technical Supervision by
Al-Kifah for Innovation & Design
Text Typesetting :
Al-Kifah Printing Press - Dammam
Printing Finishing
Al-Kifah Printing Press - Dammam

أهدي

هذا الكتاب

إلى القراء الأعزاء

وإلى كل من يؤدي عمله

بكل إتقان ، وإلى كل من

يخاف الله أثناء

تأديته

بسم الله الرحمن الرحيم

## تنويه هام

في البداية أحب أن أنوه إلى أن جميع ما ذكر في هذا الكتاب لايوجه إلى أحد بعينه لا من قريب أو من بعيد.

ولا أقصد مهنة بعينها من المهن التي تناولتها.

وانما القصد ذكر المهن التي تلازم الإنسان في حياته العملية، وجاء تناولها ليس للقدح أو الذم أو الاستهانة بها، بل من باب الإشارة إلى ما هو مفيد منها في هذه الحياة، مع تناول سلبياتها.

كما أريد أن أوضح أن لفظ " الحمار " المذكور، ما هو إلا من باب " الشيء بالشيء يذكر "، ووضعنا اسم الحمار من باب المجاز اللغوي.

وفي النهاية يكون القصد هو الإفادة والتذكرة بما هو مفيد وغير المفيد.

والله من وراء القصد..

المؤلف

## المقدمــة

قد يقول قائل لم يتسن لنا فهم البشر كما ينبغي، فكيف بنا أن نفهم الحيوان. إنها إشكالية مابعدها إشكالية تفرض نفسها . وأقول وماذا لو فشلنا في فهم البشر، فهل يعني ذلك أن نيأس ونستسلم نهائياً، بحجة أننا فشلنا أو نكاد في فهم البشر. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه بعد ذلك، هو كيف لنا أن نتفاهم مع من ليس له لسان ينطق به، ويرد على ما نطرحه من تساؤلات! . وهل تعتبر هذه محاولة للفهم إذا كانت من طرف واحد مستبد برأيه! . ليس هذا فحسب بل يشعر بالتعالي على هذه الفئة، من بني الحيوان، الذين هم ليسوا مثله في التفكير وفي كل شيء ! . إذ لايختلف اثنان من البشر على الأقل بوجود تلك الفروق الكبيرة بين الحيوان والإنسان. إذاً أصبح لدينا فرقان، يتفوق فيهما الإنسان على الحيوان وهو اللسان والعقل، بالإضافة إلى شعور الإنسان بأنه الأكثر إدراكاً وفهماً، وهذا من فضل الله على الإنسان دون شك، وتكريمه له، وتسخير معظم تلك الحيوانات لخدمته. ولكن هل هذه هي الحقيقة ؟ فكيف بنا أن نجزم بصحة هذا التفوق

إذا كان الطرف الآخر، وهو الحيوان لايستطيع النطق حتى نقف نحن البشر على قدراته الذهنية، أليس الحيوان يعرف من يحسن إليه؟ . ألا يوجد من الحيوان من يقضي بعض لوازم صاحبه كما نما إلى علمنا ؟ . كما أن بعض الحيوانات تحرس صاحبها من أن يعتدي عليه أحد . . كالكلاب مثلاً، عدا عن كلاب الصيد والحراسة والكلاب المدربة على اشتمام المخدرات والتي تعرف بالبوليسية، ككلاب شرطة "إسكتلنديار" البريطانية الشهيرة، وغيرها الكثير مما يجعلنا نخشى أن نهضم الحيوان حقه، فيما يتعلق بالمعرفة على سبيل المثال. ولا ننسى سفينة الصحراء الذي يتحمل من الجوع والعطش مايعجز عنه أعتى الرجال، ناهيك عن القدرة الجمة على تذكر صاحبه، أو من أساء إليه، ولو بعد سنين. وقصة البعير الذي داس صاحبه حتى كاد يموت، بعد سنين مضت على بيعه، فقط لأن صاحبه الأول كان يعامله بعنف وخشونه، فما كان منه إلا أن ظفر به عندما زار بائعه مالك الجمل الجديد . ومن المحير أنه استطاع أن يتعرف عليه من جملة العديد من الرجال النائمين! . هل يمكن أن نطلق على هذا البعير حيواناً ؟ !، تلك اللفظة التي تعني لدينا نحن البشر كتلة من اللحم تمشي على الأرض، لاحول لها ولا طول، ولا تفقه شيئاً . وقصة الكلب الذي كان ساعي بريد بين محبوبين أردنيين، ولكن ساعي البريد بدلاً من أن يتلقى الشكر، لقي أشد الضربات واللكمات

على يد أخ المحبوبة، فما كان من صاحب الرسائل الغرامية الا أن بادر إلى خطبة الفتاة، حتى لايلحق بصاحبة الكلب، وهذه القصة نشرتها الصحف، وأذاعتها بعض المحطات الفضائية.

سوف لن أسترسل في تعداد أذكياء الحيوان وجهابذته، خوفا من أن ننسى عنوان كتابنا هذا، وهو "الحمار"، فإذا أعطينا الحمار المسكين حقه فنكون بذلك قد رددنا الحق إلى جميع الحيوانات على اختلاف أنواعها وأجناسها، بما فيها القط، وحتى النملة، التي لها مائة قصة وقصة. إذ أن لكل وظيفته، ولم يخلق الله شيئاً عبثاً أبداً.

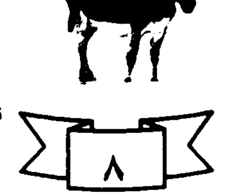
ولأني أحترم الحمار، وأعتقد جازماً -كما تعلمون - أن اسمه يقترن بشيء من المهانة، فقد جرى العرف أن الإنسان الذي يتصف بالغباء نسارع إلى إطلاق اسم الحمارعليه دون أي تردد، وهي قمة المهانة لهذا الحيوان البائس، الذي لم يجد من ينصفه، وهذا ما أحاول القيام به في هذه العجالة، دون أي تردد، ودون ان نطلب مكافاة منه. وأظن أن من الخير ألا نمدح أي شخص إلا بما يقوم به من أعمال، وعندها نحكم عليه، إمابالذم أو بالمدح، فكل إناء بما فيه ينضح، كما يقول المثل المعروف. وعليه فإن من الحكمة تقسيم الموضوع إلى موضوعات صغيرة على شكل عناوين فرعية، نقف من خلالها على مآثر هذا المخلوق العجيب. إذ






أنني من الآن فصاعداً سوف أحاول أن أتعرض للأعمال التي يقوم بها هذا المخلوق، ونقاط القوة المحسوبة له أو ما هي الخدمات التي يؤديها ؟ أو كان يؤديها في يوم من الأيام لمعشر البشر، صغيرها وكبيرها، أو لنقل ماهي نقاط التماس مع الإنسان؟ ومدى اعتماد أي منهما على الآخر، ومدى التناغم مع هذا المخلوق الفريد من نوعه.

**المــؤلـف**





### الحمار في اللغة

المفروض أن آتي على الحمار لغة في أول هذا البحث، ولكن لافرق فكله حديث عن الحمار، ويستحق منا الخوض في كل تفاصيله. وهنا أذكر أن لفظ الحمار -كما ورد في قاموس المنجد- جمع حمير وأحمره وحمر وحمور وحمراً وحمرات، ومؤنثه حمارة وجمعها حمائر، وهو حيوان معروف منه أهلي ومنه وحشي. أما حمار الزرد فهو حمار جنس من الحمر الوحشية أبيض اللون مخطط بأسود، أما الحمار البري فهو حيوان من فصيلة الخليات، هيكله مابين الحمار والحصان، وهو يعيش في السهول الكبرى المعشبة.

### لماذا سميناه حماراً ؟

ليست فلسفة ولكن لماذا سميناه حماراً؟. هل عملنا له اختبار ذكاء وسقط في الامتحان، أم أنه من باب التجني على هذا المخلوق، وماذا تعني كلمة حمار في البداية؟ هل تعني بالضرورة الغباء كما فهمنا أن التسمية توحي بذلك؟ وهل هناك حيوان في السابق يتسم بالغباء وسمي الحمار حماراً لأن له نفس المواصفات من البلادة؟. أم ياترى هل جاءت التسمية قبل المسمى أم المسمى قبل التسمية؟. إنها أسئلة محيرة يصعب الإجابة عليها أو لنقل تستحيل الإجابة عليها

تماماً كما هو الحال في موضوع البيضة والدجاجة، فأيهما جاء إلى الحياة قبل الآخر؟ وهل كان هناك في تلك الأيام استنساخ من نوع ما ؟! . كما أن الحمار مسالم بطبعه، ولم يكن عدوانياً أو مفترساً، في يوم من الأيام كبعض الحيوانات الأخرى.

**" إما المرة ولا الحمارة "**

"إما المرة ولا الحمارة"، هذا مثل شائع، من اللهجة العامية بالطبع، وتعني إما أن أحصل على المرأة أو أحصل على الحمارة، وهذه المرة حمارة أنثى. أنظر الى التشبيه هل يستطيع أحدنا اليوم أن يتلفظ بهذه العبارة ويقرن المرأة بالحمارة؟! إنني لعلى يقين بأنه ربما يلقى حتفه من جهابذة حقوق المرأة. ولكن لأن القصة قديمة فإنني أوردها هنا لأن فيها ما يتعلق بالحمار، الذي نحن بصدده، ولطرافتها أيضاً. إذ يحكى أن أحدهم قد وصل متاخراً الى إحدى بوابات إحدى المدن التي تغلق عند الغروب لدواعٍ أمنيه، وربما كان ذلك في العهد التركي، فقد سمعت من كبار السن لدينا شيئاً من ذلك. المهم هو أن اثنين من عابري السبيل قد وصلا في وقت الغروب، وتم إيقافهما إلى الصباح كاحترازات أمنية، وقد كان برفقة أحدهم زوجته المصون و حمارته العجفاء، أما الآخر فليس معه أي شيء

على الإطلاق، فما كان منه الا أن ركبه شيء من الطمع في زوجة ذلك المسافر الآخر وحمارته أو أي منهما على الأقل، ربما لأنه لم ير أنثى منذ فترة طويلة، ولم يمتلك حمارة أبداً في حياته، فتقدم وملؤه الجشع إلى حراس البوابة شاكياً بأن هذا الرجل قد سطى على زوجته وحمارته في نفس الوقت وسلبهما منه، وكله أمل في أن يحظى بتلك الحسناء أو ظنها كذلك معزياً نفسه بعدم وجود أوراق ثبوتية، كما هي الحال تلك الأيام، لاجوازات ولا بطاقات شخصية ولا مايحزنون، أما الآخر فقد أسقط في يده أمام إفتراء هذا الرجل، وبدأ يقسم أيماناً غليظة بكذب الطرف الآخر، الذي يتشدد في المطالبة، فما كان من حاكم المدينة الا أن أمر بحبس الإثنين، هذا مع حمارته وزوجته، أما الثاني فتم حبسه بمفرده وعين حارسان منفردين يتنصتان على كل منهما فيما يقول طوال الليل، فكان الأول صاحب الحمارة والمرأة يردد مبتهلاً الى الله أن يحفظ لـه شرفه وحمارته، أما الآخر فكان يردد في كل مرة "إما المرة ولا الحمارة"، خسارة ما في خسارة، ظاناً أن القاضي سوف يحكم له بأي منهما على أقل تقدير، ولكن القاضي كان ذكياً فقد اكتشف خبثه وأمر بجلده، وهدده إذا ما تعرض للناس بمثل هذه الأفعال الدنيئة في يوم من الأيام. وهذه القصة إذا ما كانت صحيحة تعكس شيئاً واحداً، وتقدم صورة واحدةً جلية للعيان ما للحمار أو للحمارة في تلك الأوقات من

أهمية في حياة الناس، أوردتها فقط للتأمل في فحواها وأخذ العبرة منها علنا نعطي ذلك المخلوق بعضاً من حقه، ونرد إليه اعتباره الذي فقده، بعد أن كان ذا حظوة في مجتمعات عاشت غير بعيد جداً قبل أيامنا هذه، عندما كان الحمار يشكل لديهم القاسم المشترك للحياة، ولا يكاد يخلو بيتاً منه. وكان اقتناء الحمار، يتجاوز موضوع مجرد حيوان، ليصل الى عدم الاستغناء عنه، وربما وصل الأمر إلى أن أصبح رمزا للثراء، وهذا دليل ملموس، على مالهذا المخلوق من أهمية، ليس هذا فحسب بل احترام أيضا، يفوق حد التصور.

**حمار على الورق**

هذا الحمار يرسمه الأولاد عندما يريدون أن يعيروا بعضهم البعض، ومع الأسف ليس هذا فحسب، بل أحياناً يتجاوزون ذلك إلى رسمه وكتابة اسم الأستاذ الذي لايحبونه عليه في خطوة استفزازية لهذا الاستاذ أو ذاك، مع أنهم يعرفون أن المسألة لن تمر بدون أي عقاب غير أنهم يجازفون.. على طريقة من يعلق الجرس أولاً.. "وهات ياضحك وهات يا طنازة" حتى يشبعوا، وماهي إلا لحظات حتى يطل الأستاذ المقصود بهامته، عندها تقع الفاس في الراس، ولكنهم وبعد أن ينكروا يعترفوا..!!

**حمار السنترال بارك**

هذا حمار أمريكي ليس الصنع، فالصانع مابعده ولا قبله صانع أبداً وهو الله جل وعلا، مهما قالوا وبالغوا في مواضيع الاستنساخ أيضا كما أنه أي الحمار ليس مستنسخاً أيضاً، فقد تقابلنا معه قبل أن يسيطر الاستنساخ على المعامل الاستنساخية، كما هو الحال اليوم مع العالمة اليهودية من أتباع "الرائليين" والتي تعلق نجمة داوود على صدرها وقبلها مستنسخو النعجة "دولي" وما أدراك مادولي حيث حمارنا المذكور لم يلق كل هذه الدعايات الاستنساخية، حيث يكتفي بالقبوع في حديقة "السنترال بارك" النيويوركية، فهو حمار أمريكي نيويوركي مكتنز اللحم غير مقيد الرجلين، لأنه ربما يتمتع بشيء من الديمقراطية الامريكية العتيدة، لونه رمادي تماماً مثل سياسة أهله رمادية دائماً، ولا أدري إلى من انضم هذا الحمار؟ هل هو ضد ضرب العراق، أم مع ضرب العراق؟ وهل اشترك ياترى مع متظاهري نيويورك وأية أعلام يرفع أثناء تلك المظاهرات، اذ كان ممن يؤمنون بمفعول المظاهرات، وعموماً فإن هذا الحمار من النظرة الأولى يبدوا أنه يتمتع بحياة رغيدة هناك، من منطلق قانون الندرة، إذ أنني على الأقل لم أر حماراً غيره في تلك البلاد في زيارتي تلك، وعلى عكس افتخار أمريكا بالحرية والديمقراطية، رأيت ذلك الحمار محبوساً في مايشبه القفص، ربما من خوفهم من

أن يهرب، لأنه نادر كما أسلفنا أو لربما يريدون أن يستنطقوه هل هو معهم أم ضدهم؟. فإن كان ضدهم تكون الجنسية الأمريكية خسارة فيه، ويصدق فيه المثل القائل: "علمناه الطرارة سبقنا على الأبواب"، والطرارة هي بلهجة أهل الخليج، وتعني الشحاذة بلهجة أهل مصر والتي تعني التسول وما أكثره اليوم في شوارع بلادنا العربية التي نحترمها دون شك.

## الحمار في مصر والشام

الحمار المصري والشامي له وضعه أيضا، فقد أركبت الأولاد على حمار مصري لطيف، وصاحبه الصبي ألطف منه، كان ذلك بالقرب من أهرامات الجيزة، وقد أشهدت أبا الهول على أنني ديمقراطي ولطيف مع أولادي، حتى يشهد لي عندما يتمردون علي يوماً من الأيام وينكرون محبتي لهم، عندما " أزرقن" (أي أرفض) طلبات أخرى من قبلهم أرى أنها غير منطقية، ولقد لاحظت أنهم سعدوا بالركوب على الحمار أكثر من البعير لاأدري لماذا ؟ ربما لأنهم تعاطفوا معه، ومع صاحبه الفقير صغير السن مثلهم ؟!

وذكر الحمار يذكر بالآلة أو السيارة التي يجرها الحمار في مصر وهي مشهورة وتدعى "الحنتور" ويقابلها مايعرف بالقاري في الخليج العربي، تلك الكلمة التي

تعني بلغة الأردو الباكستانية والهندية. أما في الشام فإن "القاري" الخليجي أو "الحنتور" المصري يصبح أسمه "الطنبر" بضم الطاء والباء وإسكان النون والذي في الغالب يجره البغل بدلا من الحمار. وعلى كل حال فإن العاملين في مثل هذه الأعمال هم في العموم من فقراء الأمم ويتعيشون من مثل هذه الأعمال الصغيرة كالنقل، وتوصيل الناس، وأظن أنه لايزال الحنتور في مصر خاصة في بعض القرى، كما أن الطنبر أيضا لايزال موجوداً في الشام نوعا ما يقوم في الغالب بنقل مايعرف بالمازوت أو زيت الديزل، لتوزيعه على أصحاب الشقق السكنية في الشتاء، بهدف تخزينه فوق أسطح البنايات في خزانات أعدت لهذا الغرض، لاستخدامه في التدفئة عندما يهجم الشتاء الشامي عليهم، والبركة في الحمار طبعاً، سيىء الذكر! . ويسكن معظم المشتغلين بهذه الحرفة في حي، انسحب اسم مهنتهم عليه فأصبح يسمى "حارة الطنابر" ومن المفارقات فإن هذا الحي محاذياً لأرقى أحياء دمشق وهو "حي المهاجرين" العريق.

## حمار جحا

حمار جحا تدرب على يد جحا، وهو يأتمر بأمره، الا ماندر وقد عانى جحا الأمرين لإرضاء الناس عبر حماره، فقد ذكر أن جحا امتطى صهوة حماره ذات

يوم، وأردف ابنه خلفه، فما كان من الناس الذين شاهدوهما الا أن رموه بالعنف مع الحمار وتحميله مالا يطيق، فركوب اثنين على حمار مسكين يعد خرقاً فاضحاً لحقوق الحمير، عندها عمد جحا الى الاكتفاء بإركاب ابنه فقط ومشى وراء الحمار في خشوع فلم يسلم من انتقاد الناس له، فقد كان تعليقهم جاهزاً، إذ كيف يمشي كبير السن ويركب ابنه، أليس في ذلك عدم احترام من الابن لأبيه، إنها أولاد آخر زمن! فلم يسر جحا هذا المقال فبادر الى الركوب وترك ابنه يسير وراءه، وماهي إلا بضع خطوات على الطريق الطويل، حتى مر بجماعة ابتدروهما على الفور بفيض من الأسئلة الاستنكارية، والتي فهم منها جحا كم هو قاس على ابنه الوحيد فلذة كبده، فكيف يتركه يمشي كل هذه المسافات، وهو يركب صهوة الحمار، دون أي التفات إلى هذا الابن المسكين، عندها لم يجد جحا أمامه من بديل إلا أن يترك الحمار يمشي ويتبختر في مشيته، ويكتفي بالسير خلفه وابنه معه، ولكن الناس كعادتهم لايتركون الناس في سبيلهم، فما هي إلا هنيهات حتى مروا بجماعة آخرين، لم يتمالكوا أنفسهم من الضحك معربين عن أنهم لم يروا أغبياء أكثر من ذلك، فكيف لهم أن يمشوا كل هذه المسافات وراء الحمار دون أن يركبوه؟!.

إنه منتهى الجنون أيضاً!!!

وكل ذلك يوضح مالهذا المخلوق العجيب من تفاعلات في حياة جحا، وغيره في تلك الأيام.

لقد ذكر أن جحا كان لديه حماران، الأول مربوط والثاني مطلق سراحه، فما كان من الحمار الأخير الا أن أكل كل المحصول، مما أثار حفيظة جحا.

ولكنه بدلا من أن يضرب الحمار الذي أكل المحاصيل إنهال بالضرب على الحمار المربوط، مما جعل الناس يتعجبون ويتهمون جحا بالجنون وعدم الإنصاف مع حميره، ولكن جحا وكعادته برر ذلك بقوله: تصوروا لو كان الحمار المربوط مطلق السراح لكان قد أكل المحاصيل كلها ولم يترك لي شيئاً !.

وهو بذلك يدلل على أن الإنسان ربما في خضم محاولاته التربوية، يتصرف مع الصغار أو حتى الكبار بنوع من العقاب البدني الرمزي، من أجل أن يتعظ الآخرون، بأن ماحدث في هؤلاء سوف يحدث لهم، وهذه من البراعة بمكان، إذا ماكانت مقصودة، ومحبوكة جيداً.

وعلى فكرة قيل أن جحا لم يكن في يوم من الأيام مجنوناً، ولامختل العقل أبداً، فلوأنه بهذا الشكل، لما نتج عنه تلك الحكم التي يمكن الاستفادة منها، وترجمتها على أرض الواقع، وكأنها دستور حياة حي لا يموت، مهما تقادمت.

بالطبع قصص حجا فيها بعض المبالغة التي يمكن الاستفادة منها . .

## الحمار وإخواننا الفلسطينيين

أصبح للحمار لدى الفلسطينيين أهمية كبيرة بعد أن نغص على الإحتلال الإسرائيلي عيشتهم، فقد ذكرت الأخبار أن بعض الناس هناك أصبح يمتطي صهوة الحمار بدلا من السيارة، عندما عمد الإسرائيليون الى سد الطرق الرئيسة وتخريبها، ولكن الحمار مع ماله من إسهامات، إلا أنه لم يكتف بذلك، إذا! تذكرنا الحمار الملغم بالقنابل، الذي انفجر في أحدى المستوطنات الاسرائيلية، وليته قضى على ألف إسرائيلي في وقتها، ولكن العملية كما ذكر لم تسفر عن قتلى، وهذا ليس ذنب الحمار الذي أخطأ الهدف، ولا نقول أكثر من ذلك، فقد كان العنصر البشري الآدمي مشتركاً في تنفيذ هذه العملية، وعلى كل حال فقد أستشهد الحمار من أجل لاشيء، بذنب الأقدار التي لم تذهب بالحمار إلى أحد دور القمار .

إلى هنا وليست لدي أية تفاصيل أكثر عن الحمار الشهيد إن صحة التسمية، فاكتفيت بما قد كتبته عنه، إلا أنني وبعد فترة من الوقت وقعت يدايا على صحيفة تتناول هذا الموضوع ولا أدري أهو حماري الذي تكلمت عنه أم هو حمار آخر، وعلى أية حال أجدني فرحا أن تتناول صحيفة ماتناولته، راجياً أن يكون اصبح لدينا حماران وليس حماراً واحداً، اما الصحيفة فهي تسمى النخبة

تصل إلى أسواقنا، في عددها الخاص الصادر في شهر أبريل ٢٠٠٣، وإليكم ماذكر بالنص في تلك الصفحة.. وانتزع الحمار لقب البطولة .. حمار فلسطيني يقوم بأحدث عملية فدائية داخل معسكر إسرائيلي.. تهاوى على الأرض كجدران داره حينما اخترق طلق ناري كتفه وهو يردد.." حسبنا الله ونعم الوكيل" "أبوهيكل" يرى وهو يقترب من ثرى بلاده على أرض الخليل أبخرة دمائه تتصاعد لدرجة الغليان .. وجدران داره والغبار لم يزل يصرخ يصعد للسماء والكرمة المثمرة تعتصرها الجرافات.. تسحبها وتسويها بالرمال.. والطلقات تنقض على كل ماهو متحرك .. حتى الحيوانات لم تسلم من رصاص إبن صهيون.. حينما همد كل شيء تراجعت الجرافات وآلات الدمار لجحورها لكن ..أبو هيكل لم يزل يردد.." حسبنا الله ونعم الوكيل". فتقترب بحذر شديد هي وصديقها المحبوب نحوه تحاول ان تساعده على النهوض وهي تقول: أنهض يا أبي هاهو صديقنا سينقلنا لمكان آمن!.

وقد كان حتى وصل أبو هيكل وابنته فايزة وصديقها المحبوب يحمل والدها رغم أن ساقه كانت مصابة هي الأخرى لكنه تحامل على نفسه!!.

وأخذت فايزة تعالج والدها واستطاعت بمهارة استخراج الرصاصة من كتف أبيها، حيث كانت تدرس بأولى سنوات الطب، وصارت ترعى والدها وصديقها

المحبوب، وتمر الأيام عليها ثقيلة، حتى رأت والدها أبو هيكل واقفا لأداء الصلاة، وصديقها المحبوب صار يتناول غذاءه اليومي كالمعتاد. فتقدمت نحو والدها وهي تعبث برأس صديقها الذي كان كظلها، وهي تهمس بينما ردد والدها: لولاه يافايزة ما وصلنا لهذا المكان الآمن، رغم جرحه الغائر، فإنني أحبه مثلك وإن كان في بعض الأوقات يعاندني، ولهذا أطلقت عليه اسم "موفاز" لأنه مثله تماما عنيد!!

قالت فايزة وهي لم تزل تداعب صديقها موفاز: ولكنه يا أبي لم يعاندني قط فيرد أبوها عليها: لأنه يشعر بزيادة حبك له ودلالك، ومد أبوها يده نحو الصديق الذي رفع رأسه معلناً انتهائه من وجبة الإفطار وقال أبو هيكل: يا موفاز اذهب مع محبوبتك فايزة وأطعها كالمعتاد.. وما أن فتحت فايزة باب الغرفة على الطريق، حتى بدأت تحمل صديقها صندوقين صغيرين غطتهما عناقيد العنب. آخر ثمار الكرمة التي سحقت مع دارهم.. وانطلق المحبوبان على الطريق وتظل عيون أبو هيكل ترقب ابنته وصديقها، حتى غابا عن الأنظار.

وعند تلك الشجرة كالمعتاد، توقفت فايزة عن المسير، وبدأت تتحسس بيديها جسد الصديق في حب وحنان وحزن، بينما انهمرت دموعها وهي تقول له: اسبقني على الطريق يا"موفاز"!، ومشى المحبوب وهي لم تزل بجوار تلك الشجرة

واقفة، لقد كان يمشي ويتمايل منتشياً بعد جرعة الحنان التي منحتها له فايزة، وكان يطرب لصوتها المتناسق مع وقع أقدامه على الطريق مع رنين "الجرس" المعلق في عنقه، الذي ربطته برقبته فايزة منذ صغر سنه، دليلاً على حبها له.

وبكت فايزة بحرقة عندما اقترب "موفاز" من نقطة التفتيش عند معبر المدينة، حيث حافلة جنود من كلاب صهيون، وآخرون حولها وعندما رأوا "موفاز" قادماً عليهم هللوا له، وكانوا به مرحبين وتكالبوا عليه لالتهام العنب، وعن بعد كانت فايزة تراقب موفاز وسريعاً أخرجت من جيوبها جهازاً صغيراً، وضغطت على أحد أزرته، عندما تأكدت من أن كلاب صهيون بدأت تتناول عناقيد العنب من على ظهر حمارها المحبوب موفاز.

وما هي الا ضغطة واحدة من أنامل فايزة على جهاز التفجير عن بعد، حتى تطايرت ممزقة أجساد كلاب صهيون واحترقت السيارة.. تطايرت عناقيد العنب من على ظهر الحمار "موفاز"، الذي تطايرت أجزاء جسده التي لها القدرة على تدمير هؤلاء الخنازير الصهاينة، ليعلن "موفاز" صديق فايزة أبو هيكل أنه أذكى "حمار"، حيث انتزع لقب الشهادة..

وعادت فايزة لوالدها، حيث كان، وهي لم تزل تبكي حيث كانت بمفردها أمامه، فاحتضنها وهو يقول لها: دعي البكاء يا ابنتي والأحزان، فلم يزل أمامنا

الطريق شاقاً وطويلاً، وكل غال وعزيز فداء لحفنة رمال من وطننا الغالي، فهذه أقدارنا أن نبتلى بكلاب صهيون لعنة الله عليهم. إن كل من له أنفاس بصدره على هذه الأرض الطاهرة ونبت منها لابد وأن يجاهد ويقدم دماءه وروحه ليحافظ عليها . . حتى الدواب والطيور والأغصان . . سنجاهد الظلم. وهاهو صديقنا الحمار قد استطاع رغم أنه بلا إرادة . . أن ينتزع لقب البطولة!

هكذا علمتنا أرضنا . . ياسر موسى عليوة عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

إلى هنا انتهت قصة موفاز وفايزة وأبوها وكلاب صهيون.

وأقول هل بقي لأي كائن من كان أن يهزأ بهذا المخلوق؟!، بعد أن شارك حتى في عمليات الصراع الفلسطيني الإسرائيلي! وقام بأدوار غير متوقعة، أو مطلوبة منه!.

## الحمير تغزو قبرص

كنت على وشك أن اودع صحيفة النخبة وأرميها من يدي، بعد إن انتهيت من موضوع "موفاز الحمار الشهيد" وفايزة وأبوها وقصة العنب، ومع أنها المرة الأولى التي أقرأ فيها هذه الصحيفة ولا أعرف مصدرها، وجدت فيها حماراً

آخر، ولكنه هذه المرة قبرصياً، لا أدري أهو ينتمي للجانب التركي من الجزيرة، أم للجانب اليوناني لايهم. المهم لندعه يثري مؤلفي هذا، فقد ذكر كاتب المقال، الذي لم يرد اسمه إلى جانب ماذكر، أنه كشفت صحيفة"سايرس ميل" اليومية أن منظمة "أصدقاء الحمير" القبرصية استكملت إحصاءاتها لعدد الحمير في الجمهورية القبرصية، مؤكدة أن هناك حوالي ٢٢٠٠ حمار في الجزيرة مابين حمار عامل ومتقاعد .

وقد أجرت المنظمة، الإحصاء عن طريق توزيع نماذج على جميع القرى، وورد في كل نموذج أسئلة لكل عمدة قرية عن عدد الحمير وأعمارها، وما إذا كانت لا تزال تعمل وأسماء وأرقام تليفونات أصحابها .وأمكن تنفيذ هذا المشروع بفضل منحة من البرنامج الانمائي للأمم المتحدة. وقالت ماري سكينر مديرة المنظمة: "ان الاحصاء أتاح لنا تقييم طبيعة الخدمات البيطرية والرعاية الصحية المطلوبة في المستقبل" .

وأسمح لنفسي فأعقب هنا، مساكين حميرنا، تراهم يجوبون الشوارع بغير هدى وأتذكر ذلك الحمار الذي صدمته صدمة خفيفة جداً جداً وقد كنت في طريقي إلى الرياض، وكان الطريق درباً واحداً من دروب العشق التربوي والتعليمي لجامعة الملك سعود بالرياض، وكانت بلادنا الغالية في أول بدايات النهضة المباركة،

في السبعينيات، وانظر إلى ما تحقق الآن بفضل السواعد الخيرة، وحكومتنا الرشيدة من طرق وخلافه.

وأضافت: " منذ العام الماضي قمنا بزيارة لأكثر من ٣٥٠ حيواناً عاملاً في إطار برنامج الرعاية ".

وقالت أيضا: " إن هذا البرنامج كان ضرورياً بسبب تقلص عدد الحمير والاختفاء شبه التام لخدمات أساسية مثل علاج الأقدام والأسنان ".

ومن ضمن ٢١٧٥ حمارا تم احصاؤها هناك حوالي ١٨٠٠ حمار تعمل في القرى. وهناك ٨٠٠ حمار تعمل في مناطق سياحية وتستخدم في الرحلات والركوب، في حين هناك ١٧٠ حمار في مأوى للحيوانات غير المرغوب فيها أو المتقاعدة.

وأضافت ماري سكيز: " إن الاتجاه واضح. فمعدل النشاطات السياحية أي استخدام الحمير العاملة لأغراض تجارية بحتة سواء على الساحل أو في المناطق الريفية واستخدام الحمير لأغراض الزراعة وأغراض ريفية أخرى يهبط في إطراد ".

وقد تم تسجيل أكبر عدد من الحمير في مدينة " بافوس " الساحلية وضواحيها حيث يوجد ٨٩٧ حماراً ثم " ليماسول" التي يوجد بها ٧٥٠ حماراً، وتأتي "

نيقوسيا" العاصمة في الترتيب الثالث إذ يوجد بها ٢٢٥ حمار، ويوجد في كل من " لارنكا " و " وفاماجوستا " ١٥٠ حماراً، وعلى مستوى القرى، سجل أكبر عدد من الحمير في قرية " باشتا " التي يوجد بها ١٥٦ حماراً. انتهى المقال. بقي أن أقول إلى هذا الحد تبلغ العناية بالحمير في هذه الجمهورية.

## حمـار في مسـرحـيـة

لقد ورد ذكر الحمار حتى في المسرحيات، فهاهو الممثل سمير غانم وزوجته التي تزوجها غصباً عن ابوها، يذكرالحمار بالخير فقد قذفت الممثلة البارعة شيرين الممثل، بقولها "دونكي" فما كان منه إلا أن اشتكى لزوجها من هذه الكلمة الأجنبية، على حد قوله، الذي فسرها له بالمعنى المعروف حمار، ولكنه أردف قائلاً: إنها لم تقل لك حماراً، بل قالت لك "دونكي" .

انظر المفارقات فلفظة "دونكي" ألطف حتى في عالم الحمير إذا اعتبرنا أن الحمير عالم دوني.

الجدير بالذكر هنا هو أننا إذا ما أردنا تلطيف الأشياء حتى لاتحسب علينا زلات، أو نريد أن نطلب أشياء من بعضنا البعض، ننطقها باللغة الانجليزية، من باب التقليل من شأنها، كما تردد ذلك في تلك المسرحية.

## حمـار العـين

هذا حمار ولكن ليس كالحمير، فقد سميناه مجازاً بالحمار !

لا أدري لماذا ؟

إنها اللهجة العامية، وهو يشكل "حزورة" كما يقولون تستعصي على القاصي والداني حلها، فأي حمار هو، دون أن يكون به روح، ورجلان يمشي بهما، ويدان يتكأ عليهما ؟

إنه حمار من جماد إسمنتي أو صخري لا ينطق، ولكن الوظيفة المناطة به لاتقل عن وظيفة رجل أمن فهو الحامي للأطفال، وحتى الكبار بعد الله، من الوقوع في البئر التي يشرب ويسقي منها الناس كل يوم، وربما سمي كذلك لأنه لايتكلم ولايعبر عن رأيه، بينما يصنع لأهله المعجزات، تماما كما هو الحمار، ولمزيد من الإيضاح، فإن هذا الجدار الإسمنتي كما أسلفت يقع على شفير وحافة البئر تماما، ويبلغ حوالي المتر طولا، وعرضه بعرض البئر ويشكل حاجزا جيداً، بين من يريد إسقاط الدلو في البئر، لجلب الماء بحيث يتكأ عليه، كلما كان الدلو كبيراً نسبياً، وتزداد الحاجة الى هذا الحمار إذا سقط الدلو أو الحبل أو الإثنين معاً في البئر، وتطلب الأمر محاولة إخراجه من البئر، عندها يكون هذا الحاجز لا غنى عنه أبداً . .

## حمـار من نوع آخـر

يقول صاحبنا: إنني أشعر في قرارة نفسي أنني حمار ناطق.

قلت له: ولماذا يحلوا لك أن تشبه نفسك بالحمار الذي أظن أنه ليس بطيب السمعة لدى الناس - بحكم موروثاتهم - ولا أظن أنك تحمل ذلك الود لصاحب هذا اللقب، أولنقل ذلك الاحترام الذي يجعلك تشبه نفسك به!

قال: أنت تفلسف الأمور . . أنا أعتبر نفسي حماراً من جانب واحد . .

قلت: من جانب واحد ؟ من فينا الذي يتفلسف على الثاني وكأنك تهذي هذا يذكرنا بالتصرف الدولي من جانب واحد في بعض المعاهدات الدولية يكون في الغالب الطرف الأقوى في تلك المعادلة .

قال: موضوعي معاك أظنه لن ينتهي، اذاكان قد بدأ بالمعاهدات الدولية.

قلت: لحظة لا تناديني ياأخي قبل أن تتخذ موقفاً من الحمار والحمورية، وأجب على تساؤلي: هل أنت لا تزال حمار أم لا ؟ . وأظن أن في الأمر بعض الإشكالات واجبة الإيضاح.

قال: المهم لا يهم، أنا حمار والسلام . .

قلت: مادام الأمر كذلك فعلى كيفك ولكن برر ذلك ؟

قال : سألتك ماذا يطلق على من يعمل ويكد ولا أحد يشكر ؟

أنام من شدة الإعياء. . لا أتصرف في بيتي، كما يتصرف الآخرون. . ليس لي غرفة خاصة. . ليس لي حقيبة خاصة. . ليس لي إلا ما أكلت وشربت. . بالرغم من كدي وعنائي الشديدين. . ألست حماراً وألف حمار بهذا المعنى.

قلت: نعم إلى أن يغير الله حالك إلى حال أفضل. . ولكن عليك أن تستأذن حماري أيضاً حتى يأذن لك باستعارة اسمه. . فحماري له حرمته أيضا، وليس من المعقول أن تتقول عليه بكل هذه السهولة. .

فمادام مثله مثلك لزم أن تأخذ رأيه، وتتشاورا. .

فمضى ولم يرد. .

## الحمار في الأحساء

عُرف الحمار في الأحساء - والكلام للمهندس الشايب - وصار من أهم الحيوانات التي تعيش فيها واكتسب صبغة خاصة حتى عرف باسم (الحمار الحساوي)، ولما كان معروفاً بميزاته فقد كان يصدر إلى كثير من المناطق المجاورة، والى بلدان بعيدة، كمصر والعراق وهو يحمل نفس الاسم، والحمار الحساوي عموماً من نوعين: أحدهما المشهور، من سلالة الأحساء البيضاء، طويل وقوي، والآخر متعددة سلالاته بألوان وقامة مختلفة، ولكن أصغر وأدكن من

الأول. واستعمل لعدة أغراض منها النقل المباشر، إما للناس أو الأمتعة، ولجر العربات وللهوس ولتشغيل الصدر (جهاز لرفع الماء). إلا أن الحمار فقد مكانته منذ الخمسينيات الميلادية، لأسباب منها انقطاع طريق العقير التجاري واستعمال القاري ( العربة ) ودخول السيارة. وعلى أية حال يبدو مدى الاعتناء بالحمار الحساوي شديداً في داخل منطقة الأحساء ذاتها ونرى هذا في كون أخذه كل يوم، وخاصة في الصيف (بعد الظهيرة وبعد أن انتهى من العمل الصباحي وبعد استراحة القيلولة ) إلى المسبح ويترك خارجاً ليتمرغد ( يتعفر ) فوق الأرض الترابية، بعدها يؤخذ إلى الماء حيث يتم تنظيفه، ومن جهة أخرى كان لتزيينه بالحناء وخصوصاً في مواسم الأعياد والزواج مكانته، والتي يعتقد أنها أيضا تحمي الجسم، ولقد كانت الحناء توضع غالباً على الساقين والذيل والعرف وعلى الجبهة وعلى الجسم، بشكل فني، كما تضاف حلقة إلى رقبته، بها عدد من البراشيم ( الأجراس ) لإصدار صوت عند السير، ولا ننسى أيضاً عملية قص الحافر بين الحين والآخر، والتي يقوم بها عادة النجار، كما كان للحمار عدد من الأسماء التي يسمى بها، والحمار نادراً مايستخدم بدون وضع أي شيء على ظهره ( الا في حالة الهوس )، فعندما يراد استخدامه للتنقل الشخصي فلابد من وضع السرج الخشبي على ظهره ومن تحته عدد من الولايات ( جمع ولاية وهي مطرح صغير مربع

الشكل يصل طول ضلعه الى خمسين سنتيمترا) من تحتها خرقه ناعمة ورقيقة تكون فوق ظهر الحمار مباشرة، ولشد السرج والمطارح إلى الحمار يمرر البطان (سير ليفي عرضه حوالي عشرة سنتيمترات) من فوق السرج وحول بطنه، ليمر في حلقة في إحدى نهايته ليربط جيداً ويمكن بها الشد والإرخاء، ويوضع فوق السرج ولاية أخرى حتى تسهل الجلوس عليها، وعندما يكون الراكب ذو مكانة اجتماعية فإنه يضع زيادة على ذلك الجاعد، وهو عبارة عن جلدخراف نجدي مع صوفه، والراكب ( وهي ميزة عامة ) لايركب فارساً بل يضع كلتا رجليه في جهة الحمار اليمنى، كما يستعمل الراكب عصاً لتوجيهه. وأما عند استعمال الحمار لنقل الأمتعة، فتتغير الأداة التي توضع فوق ظهره لتلائم الشيءالمنقول، فعندما يراد نقل البرسيم أو قلات التمر ( أكياس التمر ) فلا يوضع فوقه سوى السرج وما تبعه لتدلى حزم البرسيم على جانبيه، إما عندما يراد نقل أقفاص الرطب والفاكهة، وكذلك الخضراوات، فانها توضع في مراحل لتدلى أيضاً، أما إذا كان المنقول رملاً، فيوضع الخرج، وهو عبارة عن كيسين متصلين عند ظهر الحمار ويتدليان على جانبيه وتملأ بالرمل، وهذا الخرج مصنوع من الليف وله فتحة بأسفله في كل جانب يمكن غلقها وفتحها وقت الحاجة، ويزين الخرج بتهديل الخيوط المغطاة بالخرق الملونة، وأما إذا كان المنقول حصى أو لبناً ( طوب طيني ) فيستعمل

المنقول وهو كالخرج يتدلى فوق جانبي الحمار إلا أنه مصنوع من الخشب، كل جانب منه يمثل الخشب حدود منشور ثلاثي مقلوب، وإذا كان المنقول الماء وعادة مايوضع في مساخن (جرار) لتوضع في فتحات خاصة معمولة في المروى الليفي، لتدلى كل اثنين على جانب من الحمار، وعندما زادت الحاجة إلى تسويق البضائع، كان لابد من إيجاد وسيلة توفر عناء وجهد كبيرين، وكانت الوسيلة هي "القاري" ويستعمل حمار واحد فقط بوضع فوق ظهره عدد من الولايات فوقها الجتب، وهو هيكل خشبي على شكل ثمانية مربوط فيها سلسلتان من كل جانب، واحدة لتربط إلى حلقتين في القاري المتصل بينهما سير ليفي، يمر من تحت بطن الحمار، والقاري عبارة عن صندوق لازمبركي يسحب بواسطة الحمار، ومزود بكفرات سيارة، وتستعمل الكفرات مع الإطار الداخلي، بقي أن نعرف أنه عندما يستعمل الحمار كوسيلة لكسب العيش مُستعمله يعرف باسم الحمار (بفتح الحاء وتشديد الميم) ويتميز بربط بطنه بإزار، ولبس الغترة بالشكل المعروف الآن باللبسة الخليجية. إلى هنا انتهى كلام المهندس الشايب، وقد أوردته بالنص حتى يلاحظ التشابه الكبير بين ما في جعبتي من ذكريات، وما ورد في الكتاب المذكور. فإذا ماوجدت بعض الفروقات البسيطة فهي فروقات طفيفة، أواختلافات بين بعض القرى بعضها البعض أو بينها وبين مدينة الهفوف.

## الحمار يأكل الدستور

هذا حمار في دمه شيء من السياسة، والا ماعلاقته بالدستور ؟ !

وحسبما ورد في تلك المسرحية العتيدة التي كان بطلها الممثل المخضرم دريد لحام، والذي كان يمثل دور عمدة "ضيعة غربة" ، التي نسيتها الحكومة أو كادت، فإنه إذا أحس أنه يستفيد من دستور الضيعة بادر بقراءته على المواطنين وطالبهم بتنفيذ جميع وجملة بنوده.

أما إذا لمس أن المواطنين في الضيعة أصبحوا يتمردون عليه فإنه يعمد إلى الحمار الذي لم يأكل لعدة أيام ربما، ويوعز له بأكل الدستور حتى يتخلص من البنود التي تدينه في تلك الضيعة.

فالحق هنا ليس على الحمار بأي حال إنما الحق على العمدة الجشع، الذي يشارك الناس في أرزاقهم ولا يتقي الله في أهل تلك الضيعة المؤتمن عليهم.

وهي مسرحية لطيفة رمزية لاتخلو من فائدة ما، وإنما ذكرتها من أجل خاطر الحمار، الذي يهمنا أن نسعى من أجل رد اعتباره، من خلال تذكر التفاعلات الحياتية التي ورد فيها بمافيها مجال الفن، الذي تكرم على الحمار فشمله بعطفه.

ولو أنه يصعب تتبع مثل هذه الأعمال الفنية لأمكننا إيجاد أمثلة كثيرة على هذا المنوال. .

## البـــغل

البغل مسكين، صفة يرمى بها من يظنه أهله قليل الحيلة أو متأخر الذكاء، وعلى فكره فإن كثيراً من الأطفال الذين يقعون فرسة لمثل هذه الألقاب، فإنهم يستمرؤنها ويتفاعلون معها، وما يلبثون أن يكرسوها في حياتهم وتعاملاتهم مع أهلهم. عندها يصعب الرجوع عن مثل هذه التصرفات ولسان حالهم يقول مادمنا في أعين أهلنا كذلك فليكن. . لماذا نظهر لهم شيئاً من الذكاء الفطري ونتحمل بعدها المسؤوليات الجسام. هذا هو الوضع الأسلم أي ماهم فيه من غباء مصطنع ليس إلا،كرسه في نفوس هؤلاء الأولا د أقرب الناس إليهم وهم أهلهم والشواهد على ذلك كثيرة. وكان علي أن أورد هذه المعلومه التربوية من خلال مشاهداتي، حيث ثبت أن رفع الروح المعنوية للأبناء، حتى ولولم يكونوا من الذكاء بتلك الدرجة التي نرغبها يترك أمامهم مساحة من الخيارات الطيبة، وينمي لديهم القدرات الذهنية والنفسية على العطاء، مما يجعلهم في تحسن مستمر مع مرور الأيام كذلك التشجيع المستمر، بكافة صوره وأشكاله المعنوية وحتى المادية خير حافز على قلب الصورة " البغالية " إلى الصورة الأسدية أولنقل الذكائية. . ولربما ابتعدت عن موضوع الحمار وأخذتني النواحي التربوية، التي أحب الخوض فيها، لمافيها من منفعة غير أني سوف أعود الى موضوع البغل، لوجود علاقة بينه





وبين الحمار فالبغل في الغالب أمه فرس وأبوه حمار، وهناك من الأمثال العربية من يؤيد هذا القول فالمثل السوري يقول: قالوا للبغل من أبوك قال الحصان ( من كتاب الأمثال الشعبية لجمانة طه ص ١٩٥) . وسوف يأتي علاقة الحمار بالأمثال، ولكن لأعود الى أصل وفصل البغل فقد ورد في موضع البي بي سي أن فرساً أنجبت حماراً في أعقاب تجربة علمية يمكن أن تمهد الطريق لإنقاذ الحيوانات النادرة والمهددة بالانقراض، وينتمي الوليد الجديد إلى فصيلة نادرة جداً تدعى ( بواتو)، وتحمل خصائص حيوان يعود إلى ما قبل التاريخ، وقد وضع الحيوان حين كان جنيناً في رحم الفرس، وخرج إلى الوجود قبل ثلاثة أسابيع في معهد التوالد والتنمية بجامعة موناش الاسترالية، وقد جرى اختيار رحم الفرس لاحتواء الجنين المخصب بشكل صناعي، نظراً لأن الأم الأصلية للحمار كانت تعاني من مرض في قوائمها، ولم يكن البياطرة متأكدين من قدرتها على الصمود أثناء فترة الحمل، وقال " اجنوس مكينون " الذي أشرف على عملية حمل الفرس: " لقد كان لزاما علينا أن نوهم الفرس بأن بطنها يحمل جنيناً من صلبها، وبولادة الحمار الجديد يكون عدد أفراد هذه الفصيلة في أستراليا قد ارتفع إلى ثلاثة، وبالرغم من أن الحيوانات من فصيلة جينيوس اكيوس ( وهي تضم الخيل وحمر الوحش والحمير العادية . . ) تستطيع أن تتوالد في مابينها، فانها ترفض أن تحمل أجنة مزروعة من بعضها

البعض. وتظهر بيانات جمعها البروفسور تونك الن من الوحدة البريطانية لخصوبة الحيوانات على شاكلة الحمار، إن أجنة الحمير المزروعة في بطون إناث الخيل تجهض بنسبة ٧٠٪ ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى اختلافات في أجهزة المناعة. ووصف البروفسور عملية ولادة حمار جامعة " موناش " بأنها كانت ممتازة، ويشار إلى أن الحمير من فصيلة " بواتو " هي أكبر الحمير حجماً وأكثفها زغباً، غير أنه من المرجح أن العدد الإجمالي لما تبقى منها على وجه البسيطة لايتجاوز مائتي رأس. واقترح أن يأتوا لدينا في المنطقة العربية لنصدر لهم حميراً ضالة ليس لها صاحب، ولا من يعتّني بها باحرام، إذا سلمت من الأذى..

## حمـار عمـي

حمار عمي من النوع الممتاز، كما تبدوا عليه صحته وشكله العام وأظن السبب هو إكرام عمي له وتدليله، أضف إلى ذلك أنه لايحمّله أي شيء ولا يستخدمه أبداً إلا للركوب عليه عندما يعود من سوق التمور، حيث يعمل هناك كتاجر من كبار تجار التمور في الأحساء-كان ذلك في الخمسينيات – لذا تراه – كما ذكر المهندس الشايب – يفترش الجاعد على ظهر الحمار قبل الركوب، ولأن هذا الحمار فيه من الخير مافيه، فتراه يحفظ الفضل لأهله ولايشاكس عمي

ويعتني به كما يعتني عمي بالحمار ولايكلفه فوق طاقته، فالكرم يولد كرماً لدى من يستحقونه، وعلى ذكر الكرم الحاتمي -كما يقولون - فقد قام عمي المذكور بذبح بقرة في عرس ابنه وبالذات في يوم الغسول لابنه يوم العرس، وهذه عادة متبعة سابقاً عفا عليها الدهر الآن، حيث كان أصحاب المعرس من الشباب يذهبون به إلى أحد عيون الأحساء المشهورة، يقومون بتغسيله من رأسه حتى أخمص قدميه، كما يقومون باطعام الناس لحماً ورزاً، ولكن عمي لم يكتف بذلك بل دعا جميع المصلين في مسجده ليلة العرس أيضاً، وذبح لهم وهذا بلاشك يدل على الكرم، كما يدل على مقدار السعادة التي يشعر بها من يزوج ابنه خاصة البكر منهم.

## حمـار جيرانـنـا

حمار جيراننا هو ليس مجرد حمار، بل حمار وقاري ( عربة ) وهذا الحمار لانراه إلا في المساء، عندما يرجع من البستان الذي يعمل فيه مع صاحبه، أما في الصباح فهو يذهب باكراً قبل أن نستيقظ نحن، وتستيقظ العصافير من النوم ولا نراه، ولأن صاحب هذا الحمار لايحب الأولاد كثيراً، فكنا غير مندمجين معه، ونتحاشى الاحتكاك به إلا للضرورة القصوى، فقد كنا نسمع عنه أنه إذا دخل بيته هرع الأولاد إلى مضاجعهم من شدة الاحترام له أو من شدة الخوف، لاأدري

المهم أن لا أحد يجرأ على الحديث معه أو مناقشته، لذا ترانا نعطف على هذا الحمار من صاحبه، فترى الأولاد يتجمهرون حول الحمار إذا كان صاحبه غائباً، حتى يتمكنوا من إلقاء نظرة عليه قبل أن يصل صاحبه ويأخذه إلى الحقل، أو ربما لمواساته وشد أزره، أما إذا ما نام صاحب هذا الحمار، فإن الأولاد يعبثون قليلاً بالعربه التي يتركها في الزقاق في شكل عمودي، حتى لا يركب عليها الأولاد، ولكنهم عندما يطمئنون إلى أن صاحبها قد نام وشبع نوماً يعمدون الى الركوب عليها وهزهزتها، وكانها مرجيحة ثم بعد أن يقضوا منها وطراً، تراهم يرجعونها إلى شكلها الطبيعي، وكأن شيئاً لم يحدث، وهكذا في مساء اليوم التالي، ومع ذلك فإن زوجة جارنا هذا تشفق على الأولاد وتبعث لهم بعض منتوجات الحقل، التي قدم بها جارنا المذكور مثل مايدعى " الحبمبوه " وهي بذار التمر قبل أن يتشكل أو قليلا من الرطب، حتى تحسن من صورة جارنا هذا في عين أطفال الزقاق، وأحيانا تبعث ببضع ليمونات أو الأترنج، وهناك ما يدعى" الصراقيع " وهذه عبارة عن أعواد من مخلفات " شماريخ " الرطب نصنع منها الصراقيع التي تحدث أصواتا عندما نشقها إلى نصفين، مع بقاء الجزء الخشن في المنتصف، وعندما نهزها في وضع أفقي تقول: صرقع . . صرقع. . صرقع. . وهذه لا تتوافر إلا في موسم الصرام (جني التمر) .

وكم هي فرحة الأولاد بمثل هذه الأشياء أيام زمان. .

## حمــار أبوطبيلــة

هذا حمار من النوع الأليف جداً، فتراه يرافق أبوطبيلة أينما ذهب وأبو طبيلة هذا هو رجل عادي متوسط السن أو كبير السن، يقوم في شهر رمضان المبارك، بـدق الطبـل الـذي يحمله معـه قبيـل السـحور، حتـى يوقـظ النـاس، ليتنـاولوا سحورهم، ثم يبدأوا الصيام، وهو أي أبوطبيلة يوجد في معظم البلاد العربية مع اختلاف الشكل والكيفية، ولكنه عندما يأتي العيد وخاصة في أول أيام عيد الفطر، يعمد إلى زيارة البيوت، التي تعهد بإيقاظها طيلة شهر رمضان ولأنه يعرف أن بعضاً منهم سوف يقدم له بعضاً من الرز النيء وبعض الهدايا النقدية وغير النقدية فانه يعمد إلى الاستعانة بالحمار لحمل تلك الهدايا التي يحصل عليها كمكافأة على عمله طيلة شهر رمضان، كما أن الحمار يقصر المسافات فربما ركبه أثناء عملية التجوال، وعلى كل حال فإن أبوطبيلة ربما يستعين بالحمار أثناء القيام بمهمة إيقاظ الناس في رمضان نفسه، وأن لم يكن ذلك شائعاً .

ومن الطريف أنك عندما تعطف على أحدهم مع أنك لاتستطيع تمييزه من غيره فإنك ما تلبث أن يخرج لك غيره، مؤكداً لك أنه هو الذي قام بايقاظك وليس

الشخص الآخر، فمن تصدق ومن تكذب ولا نزال على هذا الحال حتى اليوم الثالث من العيد .

وأتذكر أنني مع الأولاد قمنا بالجري وراء أحدهم في الليالي الداجيات حتى نتعرف عليه عن كثب، من باب الاحترام لمهنته التي تكاد تنقرض ومن أجل المبالغة في إكرامه قبل العيد وبعده.

ولكننا لم نستطع طيلة شهر رمضان ونحن نترقب الا في إستيقاف واحداً منهم فقط، والحديث معه على عجالة في الشارع، حيث كان لا يجد متسعاً من الوقت للحديث معنا، فأمامه العديد من النائمين الذين حان موعد إيقاظهم، مما جعلنا لانشك لحظة في أهمية العمل الذي يقوم به في تلك البلاد التي كنا في زيارة لها، بالرغم من أن هذه المهنة قد انقرضت في بلادنا.

وهذا مصدر تعجب وسعادة شديدين من قبل الأولاد الذين لم يألفوا مثل هذه الاعمال، أما أنا فقد كنت ربما أسعد منهم، عندما وجدت أنهم اقتربوا من العادات التي انقرضت في بلادنا .

فهذه وسيلة إيضاح لا غبار عليها وتشكل لوحة فنية يصعب رسمها، وإقناع الأولاد بها مهما اخترت لذلك أفضل الرسامين، فليس أفضل من وسائل الإيضاح في العملية التربوية الحية كأبوطبيلة وحماره العنيد .

## حمار العيـــــد

حمار العيد تم إلقاء الضوء عليه قليلا عند حديثنا عن الحمار الأحسائي، حيث كان يتم تحنيته في أماكن خاصة من جسمه خاصة على الساقين والذيل والعرف، وعلى الجبهة وعلى الجسم بشكل فني.

كما تضاف حلقة الى رقبته بها عدد من البراشيم ( الأجراس ) لإصدار صوت عند السير.

ويعمد صاحبه إلى التبختر به يميناً وشمالاً وكانه سيارة روزرويس، وهي بالفعل كذلك في ذلك الوقت.

واذا ما اجتمع العديد من الحمير فإن المنظر يشبه مظاهرة حميرية يتم فيها مقارنة الحمير ببعضها البعض لمعرفة أيهم أفضل جسماً وصحةً وبالتالي أكثر سعراً.

ويتم مثل ذلك في بيئة معينة، تتخذ من الحمير حرفة لها.

## الطالب الحمار

الطالب الحمار - إذا ما تجاوزنا حقوق الحمار- هو الذي يتعب أهله وينغص عليهم عيشتهم دون طائل، كما يُكرِه الأستاذ في مهنة التعليم، من شدة مضايقته

له، تلك المهنة المقدسة، كما يطيب له أن يكلف الأستاذ بإعادة المواضيع مراراً وتكراراً وبالية بفهم، كما يطيب له أن يحدث أضراراً في المدرسة وتلفيات أينما ذهب، فهو يعمد إلى الكتابة على المقعد الذي يجلس عليه وفي الحمامات والممرات كتابات لاتليق به كطالب علم، كما يحدث أصواتاً غريبة مدوية بين وقت وآخر بقصد الإزعاج، كما يحلو له أن يضيع وقت الحصة في كل ماهو غير مفيد، كما يحرص على التباهي على الأولاد، لا بالحرص على طلب العلم والدروس، بل في كل ماهو غير مفيد، كما يُحضر إلى المدرسة أشياء غير مفيدة كالأشرطة والصور، رغبة منه في تخريب أخلاق الطلاب وإلهائهم عن فهم دروسهم، كما يعمد إلى الإنتقام من إستاذه أحياناً إذا مارصد له علامات متدنية تصف مستواه المتدني، كما أنه لايتورع في إطلاق النعوت لإستاذه، لدرجة أنه يضع نعتاً لكل استاذ، ويصر على أن يُعمم هذا الإسم الذي ينتقص من استاذه على جميع الطلاب، كما أنه يُرهب زملائه بحيث يجعلهم لايستطيعون أن يخبروا بما يقوم به من أعمال شنيعة في المدرسة من تخريب، وإساءات إلى مدرسيه والمدرسة، وأعمال عنف، حتى ولو تم عقابهم جميعاً لما اقترفه هو وحده دون غيره.

والحصيلة النهائية هي أن هذا الطالب يتغلغل بأفكاره في نفوس زملائه الآخرين وغالباً ما تنتقل العدوى إلى بعض من زملائه على حين غفلة إذا لم يتم

عزله عن بقية زملائه، وهذا متعذر في العملية التربوية اليوم، نتيجة لتدخل العوامل والأساليب الحديثة في طرق التربية الحديثة، وأمام إصرار الأهل على أن الأمور ستسير إلى الأحسن، بعد أن يكبر، وأن هذه فترة طيش ومراهقة، وسوف تذهب، ولكن ذلك لايحدث بالضرورة، حيث أنه في بعض الحالات، فإن بعض الطلاب من هذا النوع تستمر معهم الحكاية، ويكبرون عليها، ليس هذا فحسب، بل ثبت أن عدم التنبه إلى مثل ذلك في وقت مبكر، له مضاره الجسيمة، فعلى الأقل الإنتباه لبقية الأطفال، حتى لاتنتقل عدواه إليهم، فكم من المصائب والإنحرافات بين الشباب كان نتيجة لرفاق السوء في مرحلة المراهقة، وهذا ماأردت التركيز عليه هنا، حيث أن الكثير من الفتيان يكون ممتازاً ومستقيماً كل الإستقامة، فما يلبث أن تتبدل تصرفاته، وكأنه شخص آخر، وإذا مابحثنا عن السبب وجدناه من رفاق السوء.

لذا فإن مراقبة هؤلاء الرفاق، هي من أهم الأعمال التي يقوم بها الأهل، خاصة إذا ماوجد الأهل أن هناك تعلقاً من ابنهم بأي من أبناء الجيران، بحيث لايستطيع أن ينفك أويصبر عنه. هنا لزم تتبع الأمر والوقوف على كل الأمور عن كثب، حيث أن نسبة كبيرة جداً من الإنحرافات تتم عن طريق رفاق السوء، لذا يجب ألا تتهاون في هذه المسألة، وألا نستخف بها،

وألا نفسر كل تصرف غريب على أنه تصرف شبابي فحسب، مايلبث أن يتبدل إلى الأحسن.

ولكن يجدر أن أذكر أن تتبع الأولاد في هذه السن يجب أن يكون بحكمة وبوعي كامل، وبطرق ذكية، وخلق جو من الصداقة معهم بكل معنى هذه الكلمة، والوقوف على أسرارهم، ويفضل أن يكون عن طريق مخالطتهم وليس عن طريق التقصي والإستجوابات التي يكرهونها.

إذاً أستطيع القول - بعد أن استذكرت دروسي جيداً في العملية التربوية - أن المرحلة التي تسمى " المراهقة " يمكن أن تشكل كامل سلوك الطالب فيما بعد، ولن يقتصر تأثيرها على فترة المراهقة، بل يتعدى تلك المرحلة العمرية، حيث أن هذه المرحلة أستطيع أن أشبهها بالبحيرة التي تصب فيها عدة أنهار، وتشمل هذه الأنهار كل مايحيط بالنشيء دون استثناء من زملاء ومدرسين وجو المنزل والشارع والأقارب ونوعية المناهج التعليمية، وحتى المناخ، وموقع المدينة، وبقية التوجهات الأخرى المحيطة. .ألخ

لقد تغيرت أساليب التعليم اليوم عن ذي قبل، فبعد أن كانت تعتمد في السابق على أسلوب التعليم مقروناً بالعقاب البدني لمن لايتجاوب مع استاذه، أو يخل بالآداب العامة، أو حتى يعتقد الأستاذ أنه يعمل على اعاقة العملية

التربوية، مع العلم بأن كل هذه التهيؤات تخضع أولاً وأخيراً لما يراه استاذ الفصل، إذ لاراد لما يراه هذا الاستاذ، فالأستاذ في السابق هو استاذ بمعنى الكلمة، وكلمته مسموعة، ولطالما ردد الأهل خاصة الأب عندما يأتي بابنه إلى المدرسة العبارات التي سمعناها كثيراً، وهي هذا الولد ولدكم، لكم - أي للمدرسة - اللحم، ولنا العظم. وأنظر أخي القارىء إلى هذه العبارة وماتعنيه من معان، تصل إلى أن المدرسة لها كل الحق، في سلخ جلد الطالب، ومن ثم شحمه، ومن ثم لحمه، وإعطاء العظم إلى اسرته التي سوف تبارك مثل هذا الإجراء في سبيل العلم.

ولو أن هذه عبارة تقال، غير أن المعنى في بطن الشاعر كما يقولون، حيث أن الأهل لاينازعون المدرسة أي من تصرفاتها مع ابنهم، لوجود ثقة مطلقة في هيئة التدريس، ولأنهم متيقنون من أنه لا مكان لتضييع الوقت، وهي العادة التي جُبل عليها الأبناء أيا كانت توجهاتهم، وذلك بحكم السن، والرغبة المستمرة في إعاقة العملية التربوية، بالإضافة إلى أن المدرسة تتمتع بمصداقية لدى عموم الناس، في ذلك الوقت. كما يلجأ الناس في تلك الأيام إلى الإستعانة بالمدرسة حتى في معاقبة الطفل، عندما يرتكب أية حماقة في المنزل، ليست لها أية علاقة بالمدرسة، وهذا مرده إلى أن للمدرسة هيبة كبيرة في أذهان الناس، بما فيهم الأطفال. فهذا

أب يأتي إلى مدرسة ابنه مبكراً، ليجلس بجانب مديرها، قبل أن يأتي ابنه إلى المدرسة، ليهمس في أذن المدير، بأن ابنه هذا قد سرق ما يساوي أربعة قروش سعودية، وأنه أي الأب يطالب المدرسة، بمعاقبة هذا الولد السارق أشد العقاب، وماهي إلا هنيهات حتى قدم الولد الذي لم يتجاوز العشر سنوات، وهو يحمل حقيبة المدرسة يجرها جراً من ثقلها، حيث كانت الكتب في السابق، تجلب إلى المدرسة كاملة، وذلك لعدم وجود جدول متفق عليه مسبقاً، وخوفاً من أن تتغير الحصة إلى حصة أخرى ويكون الطالب لم يحضر كتبه، فكثيراً ماكانت تتغير الحصة، والاستاذ دون علم الطلاب. المهم ما أن أطل الطالب المسكين بهامته، بعد أن قطع مسافة ليست بالقصيرة من مدرسته، سيراً على الاقدام، حتى أُخذ على حين غرة، وبُطح على الأرض في فناء المدرسة، وتم عقد مايعرف بالفلقة في رجليه، وحملها شخصين من العاملين في المدرسة، وجاء المدير أو نائبه أو المراقب، وحمل عصا غليظة، وصار يهوي بها على أرجل الطالب، بحركة خاطفة، وهي تقدح شرراً، وذلك بعد أن قرأت النشرة على رؤوس الملأ، والتي مفادها أن هذا العاق الماثل أمامكم، قد سرق أربعة قروش من مدخرات الأسرة، وقام بشراء قلم بقرشين، وبالقرشين الآخرين دفتر، لذا اعتبر سارق لأنه لم يخبر أي من أهله، وبعد عدة ضربات، تورمت رجلي هذا الولد، مما جعله يعود

إلى المنزل حبواً، حيث نسوا في ذلك اليوم أن يجعلوه يسير على سور المدرسة، كناحية طبية خوفاً من أن تتورم قدماه.

إن هذا الأسلوب في العملية التربوية يندى له الجبين، وليس هناك من يجادل بأننا كطلاب لم نمت من جراء هذه الأساليب البدائية التعسفية في العملية التربوية، وهانحن في أحسن حال، يكفي أننا نجيد القراءة والكتابة والتعبير والكلام.. أفضل من بعض خريجي الجامعة هذه الأيام..

وحتى نترك الجدل في مثل هذه الأمور، فهناك من يقول أن التعليم في الماضي أفضل بكثير من تعليم هذه الأيام الذي يتميز بنوع من "الدلع" للأبناء وضياع الوقت، حيث يقع كل العبء على الأستاذ، كما يُعفى الطالب في الغالب من المساءلة عند الإخفاق في الإستيعاب، بينما الطالب هو الذي يعمد إلى تضييع الوقت على الأستاذ، كما أن الإحترام للإستاذ قل بكثير عن السابق أو انعدم نهائياً مقارنة بأيام زمان، خاصة إذا تذكرنا أن الأستاذ إذا مر بحي من الأحياء بالصدفة، ووجد أي من طلابه يلعب الكرة، أو حتى يمشي في الشارع فإن ذلك يعتبر خطأً جسيماً، حيث أن مجرد وجوده في الشارع يعني أنه لايستذكر دروسه كما يجب، وأنه يخالط من هم أكبر منه سناً، وهذه ربما يستحق عليها العقاب، خاصة إذا ما أتى إلى المدرسة وهو لم يحفظ دروسه، حيث لاعذر البتة له،

حتى ولو توفيت أمه أو أبوه، وهذه ليست مبالغة، بل تحدث أحياناً أن يعاقب أي من الطلاب، ثم يكتشف بعد مدة أنه معذور في عدم حل الواجب لسبب طارىء كموت أي من أقاربه مثلاً، أو لأسباب أخرى كأن تكون الأمطار قد تسببت في تخريب جزء من منزله، ومعها كتبه، وكراساته وهذا الطالب، بالرغم من حضوره، إلا أنه لاينبس ببنت شفه - كما يقولون في اللغة العربية - من شدة الحياء، حيث يكتفي بالسكوت وتلقي العقاب، بينما يتول بقية الطلاب، اخبار الأستاذ بما حل بالطالب، إذا ما تذكروا أو كانوا من أقربائه أو أخوته.

ليست هذه مبالغة بل كثيراً ما تحدث، وقد حدثت كثيراً، أنه طلب من الطلاب إحضار بعض النقود من أجل القيام ببعض النشاطات المدرسية، التي لم يكن يخصص لها مصاريف نثرية، في المدرسة، كما هو الحال هذه الأيام، وقد أحضر من أحضر، والباقي لم يحضروا نقوداً، وبعد لوم الأستاذ لمن لم يحضروا النقود المطلوبة منذ فترة لابأس بها، علم أن بعضهم ليس له أب يصرف عليه، وأنه يتيم، فما كان من الأستاذ إلا أن أغرورقت عيناه بالدموع..

لنا أن نفكر ملياً، بأن هذا الطالب وأمثاله لا يستطيع أن يخبر استاذه بأنه يتيم، إن خجلاً أو أن صوته ربما لايخرج من فيه، أمام استاذه المبجل دائما، أليس في ذلك قمة الإحترام.. ولكن هناك من يقول أن هذه ليست مدرسة..

كيف لبعض الطلاب هذه الأيام أن يضيعوا الوقت فيما هو غير مفيد، كما يحدث حالياً، حيث الطلاب يغدون ويروحون، وتقل استفادتهم، لسبب واحد وهو ضياع الوقت من قبلهم وتفويته على الأستاذ، فهذا يريد أن يستأذن لقضاء الحاجة، وهذا يريد أن يشرب ماء، حيث أنه لم يشرب من عامين.. وثالث يريد أن يشرح له الاستاذ مافاته يوم أمس، ورابع نسي كتبه، وخامس لم يحضر كراسته، وهكذا حتى تذهب نصف الحصة سدى، في نصائح معادة ومكرره، على طريقة، المثل الشعبي الذي يقول: "يامطوطي في جليب أصنع لبو عايش عباه.." والمعنى أن الاستاذ وإن أعاد أو كرر نصائحه المعتادة، فلم يجد استجابة، كمن يصرخ في عين ماء عميقة، يريد من ينقذه، ولايسمع صدى لصوته ولايسمع أي رد أو استجابة لاستغاثته..

والحديث عن العملية التربوية ذوشجون وفيه الكثير من النظريات التي تتصارع من أجل إثبات صحتها وتفوقها على غيرها وجدير بالذكر فإن الأمم يقاس تقدمها بما تقدمه من مناهج وطرق توصيل المعرفة، ومقدار ترشيد ما يتم صرفه للوصول إلى مخارج تتناسب مع المداخل في العملية التربوية، بمعنى أن تكون المصروفات على التعليم، تبرر مانحصل عليه من نتائج، على مستوى الفرد، وحتى على مستوى الدول.

أي شخص مستعد أن يصرف على ابنه حتى ولو كان ذلك على حساب بعض النفقات الضرورية الأخرى، ولكنه يفترض أن يتوقع نتائج باهرة، تتدخل فيها عوامل متعددة ليست بالضرورة مادية. وليس أدل على ذلك من المصاريف التي تنفق على الأبناء في المدارس الخاصة على سبيل المثال، وكذلك الدروس الخصوصية التي كلما زاد منعها كلما زاد انتشارها.

لو كان موضوع الكتاب يختص بالعملية التربوية لكنا أسهبنا في هذا الموضوع، من أجل الفائدة للجميع، ولكن الموضوع يختص بالحمار، الذي أثقلنا كاهله حتى بالعملية التربوية.

ولكن لا بأس من أن نذكر قصة ذلك الطالب الياباني الذي بعثته حكومته في الخمسينيات إلى ألمانيا حتى ينهل من علمها، فما كان من ألمانيا إن بحسن نية أو بسوء نية إلا أن قامت بتكريم ذلك الياباني المبعوث رسمياً، واحتفت به، فمن فندق فخم إلى فندق أفخم منه، ومن موائد عامرة إلى أخرى أفضل منها، ومن أيد ألمانية رقيقة من الجنس الناعم، هذا الجنس الذي زاد عدد أفراده على عدد الذكور آنذاك، وذلك بسبب ما سببه لهم هتلر في تلك الفترة من الحروب.

على أية حال، كان من المتوقع أن ينسى أخونا الياباني اليابان، بعد أن تلقى كل هذه الرعاية، والعناية، ويتزوج ألمانية أطول منه، وواسعة العينين، حتى يحصل على

أولاد طوال القامة.. وبعيون جريئة.. غير أنه لم يلبث أن أبرق إلى حكومته يخبرهم أن الحكومة الالمانية قد قصرت معه، فيما يتعلق بالتحصيل العلمي، فهو لم يأت إلى هنا كي يسكن الفنادق ذات الخمس نجوم.. ليتفرج على الغيوم.. ويلبس أفضل الهدوم.. بل جاء ليمشط المصانع الألمانية العريقة، ويقف على المخترعات اللصيقة، ويبحر في المصنوعات الدقيقة.. بما يجري في اليابان من توجهات صناعية.. تنتشل طوكيو من كل آثار القنبلة النووية.. الأمريكية .. التي رميت عليها، في تلك الحرب الضروس.. وكم أزهقت من نفوس.. ولكنها علمت اليابان الكثير من الدروس..

ويكفي أن تتأمل أنه يكفي أن يكون لدى أي بلد عشرة طلاب.. من أمثال هذا الطالب الياباني حتى يرفع بلاده إلى السحاب.. وحتى يدخل المعترك الصناعي من أوسع باب..

وهذا ماحدث في اليابان فمن يدري أن هذا الطالب وأمثاله هو الذي جعل اليابان تتصدر الدول الصناعية قدرة، لدرجة أن أمريكا نفسها، تضع أمام بعض صناعات اليابان بعض الحماية الجمركية، حتى تأمن من شرها، ويكفي أن نعلم أن السيارة اليابانية في أمريكا هي الأكثر مبيعاً من مثيلاتها الأمريكية ليس في العالم بل داخل أمريكا نفسها .






أليس هذا موضع تأمل، والسبب بسيط وهو أساليب التعليم الحديثة، والاستفادة من هذه الأساليب، والإصرار من قبل من لهم علاقة بالعملية التربوية.

ربما أكون أسهبت في المسألة التعليمية والتربوية، على حساب "الحمار"، ولكن لايهم، المهم هو الإستفادة والإستزادة من المعرفة، وخاصة فيما يتعلق بأمور النشء وكيفية الوصول إلى أفضل الطرق من أجل تعليمهم التعليم الفعال الذي يفيدهم، ويفيد بلادهم وأهليهم.

ولكن يؤسفني كما يؤسف أي إنسان على هذه الأرض الطيبة أن نسمع عن هذه الحوادث المؤلمة، فهذا طالب يتلف سيارة مدرسه، الذي علمه "حروفاً" وليس "حرفاً"، استحق معها أن يكون له "عبداً" ولعدة سنوات بعدد تلك الحروف، ثم هناك من يتجاوز ذلك الى الإعتداء على الأستاذ نفسه، بالإهانة، وبالضرب أيضاً.

ثم هناك من يعتدي على المدير أيضاً الذي كان في يوم من الأيام أمبراطوراً متوجاً على كل الحي الذي تقع فيه المدرسة، هاهو يتعرض كغيره من المدرسين إلى الاهانة والضرب في المدرسة، كما نقرأ في بعض الصحف المحلية، لأسباب لا تعدوا كونها أنه، أي المدير، قد ضبط هذا الطالب يغش، أو أن أحد الأساتذة قد ضبط الطالب، وقام المدير بإيقاع عقوبة من نوع ما على هذا الطالب بعد أن تبين

له أنه يغش في الإمتحان وهذا من حقه، فلم يوضع في هذا المكان إلا من أجل التأكد من سريان الأنظمة التعليمية على الجميع.

وأنا أكتب هذه الكلمات، تذكرت أنني لا أؤلف كتابا إلا وتلح علي أناملي أن أكتب عن التعليم، ذلك الذي والحمد لله لم نحرم منه، بل أخذنا قسطا طيبا منه ولكن مع الأسف لم تتح لنا أن نتوغل فيه بالشكل الذي يشكل هاجسا لنا حتى هذه المرحلة من العمر، بعد أن أكتفيت عمليا بالبكالوريوس، ولم أكتف عاطفيا بها حتى أوارى الثرى.

لاأريد أن أتحدث عن نفسي هنا، فلقد ذكرت في الصفحة رقم (١٠٢) من كتابي حوار مع جدتي - في معرض ماكنا عليه في تلك الأثناء - وهو في الاسواق حاليا، أن أحد الأساتذة المصريين قد ركلني على خاصرتي، تلك الركلة التي جعلتني أتوارى عن المدرسة لمدة حوالي الأربعة أشهر، فقد كانت الركلة موجعة، حيث ظن الأستاذ أنني منشغل عنه بالحديث مع زميلي الذي بجانبي، وأنا لاأتحدث حتى مع نفسي فكيف بي أن أتحدث مع زميلي من شدة الحياء والرهبة من الأستاذ!.

ولما استفحل الداء عمد جدي، رحمه الله، نصير المظلومين، إلى الذهاب على مضض إلى المدرسة، حيث عمد إلى توبيخ الأستاذ الذي كان يحل محل

المدير في بعض الأوقات، وحذره بأن أي مكروه يقع لي فسوف يكون هو المسؤول وحده، وأشهد على ذلك بعض المدرسين، عندها اعتذر الأستاذ، ولكنه تلعثم، قائلاً، في معرض دفاعه عن نفسه أنه لم يعلم أن هذا الطالب هو ابنه، خاصة وأن جدي كان على هيئة تنبأ أنه من نبلاء عصره، ولكن جدي بفصاحته المعهودة، ابتدره قائلاً هذا عذر أقبح من الفعل، وقفل راجعاً بعد أن كتم غيظه، على طريقة والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، غير أن جدتي بقدر ما كانت تلوم جدي الذي أدخلني المدرسة في سني عمري الأولى، فقد كانت الأعمار لا تحتسب جيداً، كما أن السنة النظامية لبدء الدراسة لم تكن ذي بال كما هو الحال حالياً، أقول كانت بقدر ما انتقدت جدي في الإستعجال في إدخالي المدرسة، بقدر ما دعت الله لي في كل صلواتها بأن يشفيني عاجلاً لا آجلاً، فما هي إلا بضعة أشهر حتى عاودت الذهاب إلى المدرسة.

وإني فقط أتساءل لو أن هذه الحادثة قد حدثت لبعض التلاميذ، في هذه الأيام، ماذا يفعل أبوه، ربما يهدم المدرسة على رؤوس ساكنيها، ويهدم الحارة على كل قاطنيها، وربما يهدم إدارة التعليم. .

وربما أنا أبالغ من أجل الترويح عنك أخي القارىء، ولكن المحصلة، ربما تحدث معارك يذهب فيها من يذهب، على طريقة داحس والغبرا . . وهذا

يوضح ما كنا عليه من تمجيد المدرس حيث نردد العبارة المأثورة: قم للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون "رسولا "..

ولكن وبعد ماذكرناه من أن الطالب قد يكون السبب الوحيد وراء عدم كمال العملية التربوية، وأن تؤدي أكلها، غير أن هناك بعض المعوقات - من باب الإنصاف - تتجلى في عدم مقدرة الأستاذ في الوصول إلى الأهداف المرسومة، من قبل الجهات التي تتعهد العملية التعليمية التربوية. وحتى لانُنظر كثيراً فإنه يجدر أن نلمح بما يمكن أن يسببه الأستاذ - أي استاذ - من مشاكل تساهم في تأخر استيعاب الطلاب، تكون في الغالب عن غير قصد، وليس أدل على ذلك من أن يكون الأستاذ عامل غير موصل للمعلومة، بمعنى أن يكون فاهم لدرسه غير مستطيع أن يبلغ هدفه في إفهام تلاميذه، وهو مايعبر عنه في العملية التربوية بطرق التدريس..

ليس هذا فحسب، بل أن الأستاذ أحياناً ولا أقول دائماً، يحلو له أو لنقل يجد نفسه، يَصِمُ طلابه "بالحمير"، في لفتة مقيتة، يظن أنها عابرة، مُشَهراً بحمارنا موضوع هذا الكتاب.. متناسياً الأدوار التي لعبها الحمار في الماضي، غير أن هذه الكلمة يستمرؤها - مع الأسف - من أطلقت عليه، من الطلاب.. ويقول بعد أن يأنس إليها، مادام الأمر كذلك فلماذا لاأكون كذلك.. وتبدأ المعانات،

وعدم الأكتراث والامبالاة من هذا الطالب أو ذاك، وتصبح لدى الطالب المنعوت "بالحمار" حالة من الإحباط. . وعدم المقدرة على التكيف مع من هم حوله. . وبالتالي التقصير في الإستيعاب. . ويمضي الركب المدرسي من حوله، وهو يقبع في المقاعد الخلفية. . مرفوع عنه قلم العملية التربوية. . لأنه استغل اسم الحمار، بعد أن رسم الاستاذ الفاضل - دون قصد كما أسلفنا - الصورة الغير منسية، والتي لايمكن إزالتها في ذهنه، بأنه غير قابل للتطور، أو الإصلاح.

وماهي إلا عدة سنوات حتى يطرد هذا الطالب من المدرسة، ويصبح في الشارع أمام نقمة المجتمع عليه، ونقمته عليهم. .ويصبح مشروع مجرم لايتورع عن سرقة البيوت.

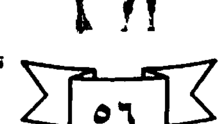
والسبب في العمق، وليس في القشور هو تلك الدمغة السحرية التي حولت حياته من حالة فيها من الإمكانيات الهائلة للإصلاح إلى حالة ميئوس منها، وكما يقال في الأمثال لاسدى ولاضريب والفلاحين هم أعرف مني بالسدى والضريب، غير أن المثل يدل ربما، وأقول ربما على أن نوعين من مخلفات درس القمح، لايحمل هذا الطالب مواصفات أي منهما، مما يدل على عدم صلاحيته لأي شيء في هذه الحياة، وهذا غير صحيح حيث أنه يوجد في كل شيء فائدة من نوع ما، بصرف النظر عن مدى اكتشافها. .

كل ماذكرناه هنا هو بسبب لفظة "الحمار" وماهي السلبيات التي أحدثتها في العملية التربوية، مع أن هذه الكلمة تكون في الغالب عفوية، صرفه، ربما تقال في اليوم الواحد عشرات المرات. .

ولكن الفرق يكمن في المتلقي لهذه الكلمة، فأحياناً، ربما تكون مجرد كلمة عابرة لاتقدم ولاتؤخر، وأحياناً ربما تنشب حرب، من جرائها إذا كان المتنابذين في حالة من التشنج العاطفي، أو كانوا في حيز معين من الكراهية والتراكمات الصديدية في خضم الحياة، بدء من المدرسة وعلاقة الأستاذ بتلاميذه، وانتهاء بالحياة العامة، حيث ربما أن الكلمة عند إطلاقها على عواهنها تؤدي إلى حرب ضروس حتى بين الاخوة الأشقاء، والحوادث على ذلك كثيرة. .

أحببت أن أذكر هنا أن هذا الحمار، يتدخل حتى في العلاقات الإنسانية، وهذا للأهمية البالغة التي هو عليها، وهذا مرده في جميع الحالات إلى ما نشربه في حليب أمهاتنا من أن هذا المخلوق هو الأكثر غباءً وهو كتلة من اللحم الذي لايرجى منه خير، فكيف لأي انسان أن يستسيغ أن يُطلق عليه هذا اللقب، والحال كذلك، وهذا يوضح ماللموروثات من أهمية في بناء شخصية الفرد.

وحتى في البيت، فإن إطلاق هذا المسمى على الابن بين وقت وآخر، وبشكل متكرر، ثبت أنه يترك آثاراً سلبية مقيتة، حيث يخلق نوعاً من البلادة، وعدم








الإكتراث، سواء بسواء كما يحدث في المدرسة، حيث يتحول الابن بمضي الوقت إلى حالة من الجمود والإرتجال في تصريف أموره، ومحاولة عدم تحمل المسؤولية، كفرصة متاحة للركون إلى الكسل، ورفض العمل، والإعتماد على الغير، وهو مانطلق عليه خليجياً "التنبلة" ولسان حالة يقول: مادمت حماراً، فليس أفضل من أن أتصرف بلا وعي كالحمار تماماً، لأن نفي هذه الصفة عنه، يحتاج إلى براهين كثيرة لاداعي لها، خاصة وأن من أطلق عليه هذا اللقب، هم من أهله وأحبائه، فهل بقي بعد ذلك من سبب يعزوه إلى نفي تلك التهمة، فهم أي الأهل أدرى بمصالحه، وأحرص من غيرهم عليه. .

<u>كل ذلك يدل على أن إسم الحمار مهم كما أتصور فلو لم يكن هذا الإسم مهم حتى في عالم التربية والتعليم، لما ترك هذا الأثر، ولو أنه أثراً سلبياً، المهم أنه أثر والسلام.</u>

لذا أصبح لزاماً علينا أن نتلمس أفضل الطرق لتربية أبنائنا، فربما كلمة واحدة، تطلق لاترعي لها بال، تسهم في تأخر أجيالاً كاملة، حيث كما يقال العلم في الصغر والنقش في الحجر. .

أحببت أن أطيل بعض الشيء في هذا الموضوع متخذاً من موضوع الحمار مدخلاً للنفاذ إلى معلومة مفيدة ربما تسهم في تغيير بعض المفاهيم التربوية، من

أجل أبنائنا الأعزاء، حيث الطفل هو مايعبر عنه " الإسفنجة" التي تمتص القيم والمبادئ والأفكار، ولاتلبث كل هذه الأشياء أن تشكل شخصيته التي تكبر وتكبر وهي تحمل كل ما نُفث فيها فيما مضى، وهي التي تشكل الدعامة الأساسية في بلورة شخصية من نوع ما، تشكل مع أقرانها مجتمعاً معيناً، يتصرف من وحي ماتربى عليه، وهذا ما يميز مجتمعاً ناضجاً ومتفتحاً ومنتجاً ومبدعاً عن غيره، من المجتمعات التي تتصف بسمات سلبية مُفرطة..

والآن لنا أن نتساءل هل الحق، كل الحق على الحمار؟! أم على من أطلق إسم الحمار؟! بعد أن شكل شخصيته في ذهن المجتمع ككل؟! لاأدري..

لقد استرسلت في موضوع الحمار بالذات، على اعتبار أن هذا المؤلف بعنوان الحمار، ولكن هناك ألفاظ أخرى مثل البغل، والكلب وحتى الغبي، إلى آخر القائمة من الألفاظ النابية، وهذه الألفاظ لاتقل خطورة عن عبارة الحمار، لما فيها من الخوف أن يستمرؤها المنعوت بها وخاصة من معشر الطلاب، إذا صدرت من مدرسهم، أو من الأب إذا صدرت لأبنائه.

ولكن هل يمكن أن نستبدلها بألفاظ غيرها، مما يثير الحماسة؟! على اعتبارات منها الكلمة الطيبة صدقة، وماللكلمة من سحر، وأثر نفسي، يجتثُ كل مايواجهه من إحباطات ومثبطات، حيث يتكون لدى المتلقي شحنة من الإيحاءات

النفسية، تحدوه إلى أن يتمثل ماوصف به مـن أوصـاف، تدفعـه إلى المزيـد مـن الإنجاز والتألق، وليس أدل على ذلك من الدور الذي يقوم به مشجعي كرة القدم لفريقهم، والفرق الهائل بين ما يحصل عليـه الفريـق عندمـا يلعـب علـى أرضـه، وجمهوره، وبين أن يلعب على أرض الخصم، ومشجعي كرة القدم يعرفون في هـذه الأمور أكثر مني، إنما أوردت ذلك من قبيل الأمثلة الحسية، التي تنطبق على مانحن بصدده، حيث أن الجو المشحون بالتشجيع للنشىء يجعلهم يتصرفون وهم محاطون بالرعاية من جنس ماتم تشجيعهم به، بانتظار أفضل النتائج، مما يجعلهم يعملون للحصول عليها، والعكس يحدث تماماً في جـو مـن تثبيـط العزائـم، وهـذه أمـور معروفة.

ماذا بقي لم أتطرق إليه في العملية التربوية؟

أقول بقيت أشياء كثيرة جداً، فقد أعلمني مدرس فاضل، أنه قام بتأليف كتاب، تطرق فيـه إلى أشياء كثيرة، من المواضيع التربوية، تمثل خلاصـة تجاربـه خلال مـايربو علـى ربع قـرن مـن التدريـس، إلى هنـا والموضـوع جيـد، هنأتـه وشددت على يديه، وطلبت منه الإسـراع في إخراجه وطبعه، غير أنه ضحك بعد أن شكرني على هذا التشجيع، وقال لي بصوت متهدج، مع الأسف سوف لن يرى كتابي النورفاستغربت ذلك منه ولكنه مالبث أن قال لي:"السبب هـو أنـني

لاأريد أن أتسبب في إحراجات مع زملاء المهنة، حيث أن الكتّاب إذا كان سوف يظهر بالشكل الصحيح، لابد وأن يتناول بعضاً من أخطاء بعض من زملائي، وأنا بطبيعتي مسالم، كما تعرفني، لا أحب إحراج أي أحد . . "

ولكني أوضحت له أن كلمة الحق لابد وأن تقال، وهذه أمانة في عنقه، يجب أن لايتردد في إبرازها، وإن أزعلت بعض من زملائك، فهي سوف تفيد مجتمعاً بكامله، خاصة وأن الموضوع يتعلق بأبنائنا الأعزاء على قلوبنا، والذي نعيش من أجل راحتهم وتقدمهم، ليصبحوا بناة مخلصين لهذا الوطن المعطاء، بلادنا المملكة العربية السعودية بإذن الله.

## الحمـار المزعـج

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير، هذا مما لاشك فيه فبعض الحمير تصدر عنها أصواتا قوية أحياناً بين فترة وأخرى وصوته مميز عن الحيوانات الأخرى لدرجة يمكن تمييزه وبسهولة عن غيره من الحيوانات. كما أن صاحبه يعرف من خلال صوت الحمار ماذا يريد الحمار بالضبط، من خلال تحليل صوته وما إذا كان قد أعتدي عليه أو قام أحد بضربه مثلاً أو حدث له أي مكروه أو ربما يريد أن يأكل. وهكذا يتم تحليل صوت الحمار من قبل صاحبه وبسهولة شديدة، وهذا

يدل على مقدار التناغم بين الإثنين والتفاهم الشديد بينهما، ولم لا فهي عشرة عمر في دروب الحياة العريضة، وكما أشيع إن البهائم تستطيع معرفة أو التنبؤ بحدوث الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو الأمطار ومعظم الأنواء المعتادة، قبيل حدوثها من خلال حواس أودعها الله فيها . وحتى ننصفه فلا يجب أن تتجنى عليه ففي صوته موسيقى للفلاح في الحقل حيث ربما يأنس بصوته في وقت الهجير. كما يكفي أن نعرف أنه بمثابة السيارة لدى الفلاح في تلك الأيام فكأنه يناديه بأن وقت العمل قد انتهى، هيا بنا نذهب إلى البيت. فكم هو مهم هذا المخلوق للفلاح على الأقل وكم في صوته الشجي مايريح النفس، لدرجة أن الحمار إذا مرض فإن صاحبه يفتقد صوته العذب ويسارع إلى علاجه بالأدوية المتاحة، ولم لا فلربما كان هذا الحمار يؤدي خدمات لايؤديها أبناء الفلاح نفسه، وإن كان أبناء الفلاحين في تلك الأوقات لايتوانوا في خدمه أهلهم في مواضيع الزرع والضرع بخلاف الأبناء الآن.

وخلاصة القول مع مافي صوت الحمار من استفزاز إلا أنه يغفر له الخدمات التي يؤديها في تلك الأيام اذ أن صوته هو بمثابة جرس الإنذار المبكر، الذي يسترشد به الفلاح ويأنس به خاصة إذا احتاج بعض المؤانسة. ومن الجدير بالذكر فإن صوت الحمار يختلف من حمار إلى آخر ويقرر ذلك من لديهم حمير في

البساتين فكل يعرف صوت حماره ويميزه عن الآخر وبكل سهولة لدرجة أنه لايمكنه أن يخطأ حماره، وهذا يمثل ماعليه الفلاح من ذكاء . .

## الجـار الحمـار

ربما لايكون هذا الكلام مريحا للبعض ولكنها الحقيقة فبعض الجيران تفضل أن تجاور حمارا له أذنين، ولاتجاور ذلك الانسان كما أن تسميته بالحمار فيه إهدار لحق الحمار نفسه، فالخدمات التي يؤديها الحمار للمجتمع فيها من الخير الكثير، بينما صاحبنا الجار وأقول _بعض الجيران_ حتى أكون أكثر دقة في الحكم على الأشياء . نعم بعض بعض الجيران لاحظ تكرار كلمة بعض إن صحت لغوياً، فأنا أقصد منها أن القليل القليل من الجيران لايستحق أن تسميه حماراً من منطلقات عده فهو كثير التدخل في شؤنك الخاصة وكانه دولة عظمى، مقابل دوله صغرى " تمون " عليها وهو كثير الزيارات، وهو يفكر عنك ويدعوك إلى أماكن لا تريد الذهاب إليها ، ويتصل فيك هاتفياً في كل يوم ويزعجك بأسئلته المتكررة عن نفس الأشياء، ويعزم نفسه إلى منزلك بمناسبة أو بدون مناسبة، ويعمد إلى تجريحك بكلمات غير مرغوبة واستفزازية عنيفة، وكأنه يختبر صبرك وحلمك . .كما يحاول انتقادك في ملبسك ومأكلك وحتى في مشيتك، ويرميك بالنعوت التي لاترغبها ، كما

يحاول أن يفرض عليك شعاراته، التي يؤمن بها ومعتقداته، التي يراها هامة لتسيير أمورك الشخصية، تلك المعتقدات التي لايمكن أن تتفق معه عليها لامن بعيد ولا من قريب، وهكذا تـراه يصعب عليك الأمور السهلة، ويسهل عليك الأمور الصعبة، في محاولة منه حثيثة لتصبح نسخة عنه في ما تأكل وتشرب وفي بيتك ومع أولادك، كما ينقل اليك أخبار الجيران أولاً بأول، ولا يتورع في أن يخبرك بما قالوا فيك من كلام سيء إن صدقاً أوكذباً، من أجل أن تغضب من جميع الجيران وينفرد هو بصداقتك، وهو يحاول أيضا أن يوطد العلاقات معك ليكون صديق العيلة كما يقولون، ويتجرأ على الحديث مع زوجتك شيئاً فشيئاً، بالسلام ثم بالكلام ثم بالمزاح، كلما وجد إلى ذلك سبيلا، فهو يذكرنا بالفلم المصري "خل بالك من جيرانك " ذلك الفلم الذي بطله الفنان المعروف عادل إمام والممثلة خفيفة الظل لبلبة، فقد عانوا الأمرين من جيرانهم الذين فرضوا أنفسهم عليهم، بعد أن علموا أنهم عرسان جدد، فقد استلفوا منهم كل شيء، إبتداء من البصل وانتهاء باللحم، كما أن جارهم خفيف الظل فؤاد المهندس لما رأى الحالة هكذا صار يصعد من شقتهم ويتدلى إلى القبو بعد أن طرده صاحب العمارة لأنه لم يدفع إيجار مخبئه، ولم تمض أياماً حتى شرب معهم شراب "السوزوكي" ومن ثم تزوج أم لبلبة، وقد بادر جميع أهل العمارة من ضعاف النفوس من الرجال أيضاً إلى محاولة

التعرف على العِرسان الجدد عندما رأوا العروس الجديدة بحلاوتها وخفة ظلها، وهذا يوضح ما للجيران من تأثير على جيرانهم، خاصة إذا كان أحدهم لايتمتع بشخصية قوية تؤثر ولاتتاثر، وهكذا . .

فما أنادي به اذا لم يكن لدينا تلك الشخصية التي تؤثر ولاتتاثر، فعلى الأقل نكتفي بالجيران من بعيد إلى بعيد .

**يقول أحدهم:** قيل للأرنبه ذات يوم ما هو أحسن يوم عندك؟ فقالت على الفور: اليوم الذي لا أرى فيه ولا أرى، والمعنى لا أرى أحداً، ولا يراني أحد . .

**ثم يضيف صاحبنا فيقول:** وأنظر إلى دلالة هذا القول وما يحمل من معان صادقة ومؤثره وفيها من الراحة النفسية التي يظن البعض أنها ابتعاد عن الناس كل الناس، ولكن ذلك غير صحيح .

لم نقصد بذلك العزلة إلا عن جار السوء وهو الذي لايمكنك إلغائه من حياتك أبداً مهما عملت ومهما ألقيت من الدروس والمحاضرات على سيدة البيت المصون، لأنها لا يمكن أن تقعد بدون صداقات عائلية، وبدون ثرثرة، وبدون تلفونات، وبدون رد وصد وبدون اجتماعات بين وقت وآخر، لحل قضية الشرق الأوسط، وبدون تحريض على المشتروات من المحلات التي تعطي بيد وتأخذ باليد الأُخرى. ثم زفر وسكت. . أرجو ألا يكون أصيب بجلطة. .

**أما أنا فأقول**، لنرجع إلى الجار الحمار الذي حملنا الحمار كل عيوبه وهو منه براء، فكم من جار رحل عنه جيرانه بعد ان يأسوا من إصلاحه فقد قيل في الأمثال: اسأل عن الجار قبل الدار، وهذا القول جميل إذا كنا في وضع نستطيع معه أن نختار جيراننا، أما اليوم فإنك لايمكنك أن تعرف جارك أو تختاره، بسبب مايحدث في المخططات الجديدة، فعندما تبني بيتاً وتدفع فيه كل مدخراتك، تفاجأ بجار جديد يختلف عنك في كل شيء يجاورك بل ويحاورك وعليك مجاراته وتبدأ الصراعات الفكرية والتي لاتحصل منها سوى على وجع الرأس،كما يقولون والتقليد الأعمى فإما أن تنتصرعليه بعاداتك، وإما ينتصرعليك بعاداته التي مايلبث أن يفرضها عليك رضيت أم أبيت.

ولقد استطاع بعض الناس كما سمعت أن يتغلبوا على هذه الإشكالية بشراء أراض بعيدة والسكن إلى جوار بعضهم البعض، في منظومات اجتماعية تتشابه في العادات والتقاليد وهذه فكرة طيبة لاباس بها، بما فيها من سلبيات، حيث العزوة كما يقولون، وعدم الرغبة في الانصهار مع الآخرين، فأحياناً تختار هذا الوضع إذا ما وجدت نفسك في حل من ذلك، بعد أن تستنفذ كل مقدراتك النفسية، إذ أن إصلاح الناس أمر صعب، ولا أظن أنه مطلوب في هذه الأيام، أمام الحدة التي جبل عليها الناس وعدم رغبتهم في التعاون، إلا إذا كان الأمر يتعلق بمصالح لهم

وعلى حسابك أنت بمعنى أن تكون كبش فداء لهم، وأن تكون القيادة في أيديهم يسيرونك كيفما شاءوا، وهذا ديدن الناس، فإما أن تكون العنصر الأضعف وتأتمر بأمرهم أو تكون غير متعاون. وحب الهيمنة من قبل الناس بما فيهم جيران أحدنا يعتبر شيئاً طبيعياً، حيث أمامك أحد أمرين إما الإذعان لذلك الجار ومجاملته، أو تنطوي على نفسك..

ولكني أسمح لنفسي وأقول مادام الحديث عن الجار والعلاقة شبه الإجبارية معه، أن هناك مثل تلقيته من إمرأة عجوز كانت تردد عندما نفتح حوارات في هذا الموضوع بالذات: أحسن شيء "عيشة الأرنبة"، فأسألها على الفور وماهي عيشة الأرنبة؟! فترد علي قائلة: "بسيطة عيشة الأرنبة، هي أن تعيش لاتشوف ولاتنشاف" أي لاأحد يراها، ولاترى أي أحد، فأقول لها ولكن هذه عزلة، فتقول، تذكر أنني قلت أحسن عيشة، حيث يمكن للإنسان أن يعيش أحسن عيشة، وأن يعيش عيشة متوسطة، مما يتيح لك خيارات يمكنك التحكم فيها، فإذا ماوجدت الأمور لاتسير وفق مايريحك أركن إلى حياة الأرنبة ولو لفترة من الوقت..

وأخيراً أرجو ألا يتهمني البعض بأني "أحبك" الموضوع أي أكبر من هذا الموضوع، فإذا كنت عزيزي القارىء وفقت في جار ممتاز فأحمد الله على ذلك،

عليك أن تحافظ عليه، وأن تكرمه كل الإكرام، وأن تعامله بكل لطف وإحترام. .ولكن أتصور أن تكون المعاملة رسمية أو شبه رسمية، فقد ثبت أن العلاقات التي لاحدود لها، ولاضوابط، تنهار بسرعة. .

## حمارة "القايلة"

هنا حمارة وليس حمار، والسبب أن الحمارة مسكينة أستحوذ عليها الحمار، الذي يستحوذ على نصيب الأسد دائما، بالإضافة إلى أنه غير ديمقراطي مع حمارته، فهو دائما مستبد بها لايستمع إلى آرائها حتى ولوكانت تلك الآراء صائبة، على طريقة بعض الرجال ولا نقول كلهم، ففي بعض خير. على أية حال هذه المرة حمارة، ومع ذلك فهي ليست حمارة من لحم ودم، بل هي صورة موضوعة لحمارة من صنع خيال الكبار، من أجل إخافة الصغار، ولهذا أطلق عليها حمارة "القايلة" والقايلة هو الاسم الخليجي لفترة القيلولة أو الهجير، عندما تتوسط الشمس كبد السماء، أي بعد الظهروما فوق، حيث تقف الحركة في الشارع نهائيا، خاصة في تلك الأيام، حيث لاوجود للسيارات ويبدأ الأهل في الخوف على أولادهم من أن يعبثوا بالأشياء أو يبتعدوا عن المنزل أو يعمد أحد الغرباء إلى سرقتهم في غفلة من أهلهم، فبماذا يمنعونهم والباب يسهل فتحه، لايوجد

شيء أفضل من تخويفهم سوى بحمارة " القايلة " التي يحلوا لها أن تمشى في الشوارع والأزقة، وتبحث عن ولد عاص يمشي في الشارع، لتظفر به وتسرقه وتأخذه إلى بيتها ، وتذبحه بالسكين وتسلخ جلده وتشويه وتتعشى به وترمي الباقي من عضم وخلافه إلى الكلاب، كل ذلك في غفله من أهله، ولقد تصورت حمارة القايلة أنا شخصياً ورسمت لها ألف صورة في مخيلتي التي لم تبارحها إلا عندما أصبحت يافعاً، ومثلي الكثير من الأولاد ممن هم في سني، ونحن الى الآن مدينين لحمارة القايلة بوجودنا الآن. . وكل الأطفال غير المفقودين بالطبع، وحتى بالأطفال المفقودين الذين لم تأكلهم جزاها الله خيراً، لا لعفتها ونزاهتها بل لأنها غير موجودة أصلاً إلا في مخيلتنا الصغيرة.

ولأن بحثنا هو منصب على الحمار المسكين وحمارته أيضاً اكتفيت بذكر حمارة القايلة فيما يتعلق بتخويف الأولاد مع وجود العديد من الأشياء التي من صنع الخيال أبتدعت لتخويفهم مثل " أم السعف والليف" وهي بالطبع ترمز الى النخلة، و" أم المحامل" ولا أدري ماهي بالفعل والى ماذا ترمز؟ وغيرها العديد من الأشياء لامجال لذكرها إلا في مواضع أخرى تختص بعالم الطفل وتخويفه، ومن ثم يأتي دور حمار العين، وقد نسيت عند الحديث عنه أنه أحياناً يستخدم لتخويف الأولاد مع أن وظيفته تختلف كثيراً . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، بماذا أخوف

أولادي اليوم إذا أردت منعهم من الذهاب خارج المنزل عندما أريد أن" أقيلل" قليلا ؟

## الحمار في النكت والأمثال

الحمار مثله مثل أي كائن حي يشارك الإنسان في أشياء كثيرة كوسيلة انتقال على أقل تقدير فتراه يدخل في الأمثال العربية، والتي ربما يتراءى للبعض بأنه يكاد يكون الأبعد عنها، ولكن لنتأمل المثل الذي يقول: ( اللي مايغار حمار) .

وتبصر في معناه ليس اللفظي بل الحسي إن كان ثمة فرق بينهما فالمعنى اللفظي واضح وهو أن الغيره محصورة في بني البشر فالحمير لاتغار، ولكن هذا غير صحيح على اطلاقه فالحمار يغار على أنثاه، وقد ثبت ذلك لدى الفلاحين في أكثر من مناسبة، إذا هذا التشبيه غير واقعي أبدا ولكن الإنسان يأبى الا أن يلصق بالحمار المسكين كل التهم غير المحببة له، وليس هذا فحسب فانظر إلى المثل الذي يقول: ( فلان شارب من حليب حمارة ) .

هذا إذا كان هذا الشخص لاينفع فيه المعروف، ولايرد الجميل إلى أصحابه مهما عملوا له، بل يسارع إلى نسيان كل أمر طيب عمل له في وقت قصير، وربما قابل الحسنة بالسيئة، وليس لدينا أي دليل لاعلمي ولاعملي بأن الحمار يتصف

بمثل هذه الصفات، إنما جبروت الإنسان ضد هذا الكائن الذي لا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

وأنظر إلى التشبيه بالحمار وبالذات أذنيه الطويلتين بالشخص الذي نريد أن نبالغ في ذمه حيث يقال: ( حمار وأذنيه أكبار أو أطوال )، لتأكيد حموريته يؤكد على طول أذنيه وكأن الحمار هو الذي أذنيه طوال دون غيره، كما تعود أن يقول بعض الناس عندما يبالغ في أذية الناس، ولدى سؤاله من قبلهم عن السبب وراء كل هذه الأذية، يبادر وفي رباطة جأش بأن، مرد ذلك إلى الحيونة التي ملأت بها نفسه، وأحيانا يقول من الحمرنة، نسبة إلى الحمار المسكين ولاينسب كل هذه البذاءة وقلة الحياة وأذية الناس إلى نفسه لأنه منزه.. ولو لم يكن له علاقة بالحمار لما أوتي كل هذه الوقاحة..

واذا رجعنا لموضوع الغيرة فهناك من بني البشر من تقل عندهم الغيرة إلى أقل الدرجات المطلوبة، فتراه يترك زوجته تذهب إلى كل الدنيا وليس فقط إلى الكوافير، إما من منطلق التخلص منها أو من لسانها أو من مصاريفها، فهو بذلك يتساوى مع الحمار إن صحت هذه صفته تماما دون زيادة أو نقصان مع أننا لانزال نشك في أن الحمار أقل البهائم غيره على زوجته، وهذه نقطة تحسب لصالح الحمار فالإنصاف والعدل واجب.

والحمار في الأمثال موضوع لطيف أتذكر مه أيضا مثلاً مفاده: (حمار العنب ) ومع أنه لايوجد مثل هذا الحمار في الواقع بل إن المقصود هو الحمار الذي يحمل عنباً وهذا المثل يتكرر، ويقال على شكل سؤال استنكاري دائماً عندما يحس البعض بأنهم قاموا بجهد ما دون أن يحصلوا على مقابل هذا الجهد لأسباب مختلفة إما للظلم أو للاستبداد من الغرماء والأطراف الأخرى وربما تكون هذه الأطراف الأقارب أو آخرين يشتركون معهم في أداء أعمال معينة.

وهكذا نجد المثل يعبر عن حالة اليأس من عدم حدوث ماكان متوقع، سواء بسواء مع حمار العنب الذي يحمل العنب دون أن يسمح له بأكله أو أكل حتى عنقود صغير منه. أما عن النكت وهي الأقرب للأمثال فهناك النكتة التي ذكرها لي أحد الاصدقاء حيث قال: ( آخر أيامه تعالوا ودعوه ).

فما كان من أهل الحي الا أن اصطفوا لأخذ دورهم لتقبيل الحمار، الذي كان محظوظاً للغاية فقد حصل على عدة قبلات حارة حتى من جميلات الحي، وهي لا تعدو إلا أن تكون نكتة "مفبركة " على الحمار، لما فيها من مبالغة ولكننا لابد ولكي نضحك ونقهقه على هذه النكتة لابد وأن نعلم أن صاحب الحمار لم يكن ينادى على الحمار بل كان ينادي على مايحمله الحمار من فواكة أوشكت على النفاد في كل البلاد، فقال وبصوت جهوري يحمل في طياته النبرة التسويقية

( آخر أيامه تعالوا ودعوه ) أي ودعو ذلك المحصول وربما كان من العنب أيضا كما في الحالة الاولى.

أما الحكاية القادمة فيختلط فيها المثل مع النكتة أيضا فقد روى أن حمارا قد حمله صاحبه بأحمال لاتطاق وقد كان طريق سيره يمر على والي المدينة أو حاكمها الذي أطل بالصدفة من شرفة منزله فإذا به وأحد رعاياه يحمل حماره أحمالا ربما يعجز عن حملها قطار إذا لم نبالغ، فما كان من الحاكم إلا أن أخذته الرحمة بالحمار والغضب على صاحبه فأمر بإيقافه وجلبه للمسائلة أمام الحاكم مباشرة، ولكنه عند مواجهته بفعلته ولومه وتوبيخه قال له الحاكم، هل ياترى تستطيع حمل هذه الأشياء التي حملت بها حمارك؟ فقال على الفور نعم، عندها سأله الحاكم هل أنت متأكد، أو أنك تجادل فقط؟ فأجاب على الفور بأنه متأكد من قوله ومستعد لحمل كل هذه الأثقال، عندها أمر الحاكم بأن تتم التجربة وهو على يقين بأنه سوف يقع في سوء عمله. ولكن المفاجأة كانت غير متوقعة إذ استطاع صاحب الحمار حمل كل الأحمال التي كانت على ظهر الحمار وبكل سهولة ويسر.. عندها ابتسم الحاكم وأمره بالانصراف بعد أن أسدى له بعض النصح وأوصاه بالتلطف بحماره وهو لايدري أيهما الحمار الفعلي.. بقيت نكت على الحمار، فقد قيل أن حمارا قال لزميله الحمار: ( أنت حمار.. ).

فرد عليه الحمار الثاني: " احترم نفسك " ونكتة أخرى تقول أن الأب قال لابنه، لماذا تجعل المدرس يكتب لك حمار في كراستك؟ فرد عليه الابن: بأن ذلك هو توقيع المدرس..

يقولون في الأمثال العامية:( أنطر ياحمار حتى يجيك الربيع)، ومعنى أنطر انتظر، ويجيك أي يأتيك، والمعنى العام معروف.

ولكن لماذا اختاروا الحمار دون غيره؟ أليس لأنه صبور ويضرب هذا المثل عندما يستحيل الصبر، وهم بذلك يعبرون عن التقاعس عن أداء الواجبات المناطة بأي إنسان سواء أكان فرداً أو شخصية اعتبارية يحتاج إليها المجتمع.

وإذا ما ازدادت مطالب الأولاد على أبيهم يقول الأب متأففاً من هذه المطالب: ( أنتوا يا أولاد ماتعرفون من وين الحمار يخرج.. )

أي أن الأولاد بطبعهم يريدون الأشياء الجاهزة دون النظر إلى ماتكلفه هذه الأشياء.

وأمثال أخرى تطعن في ذكاء الحمار فيقول أحداها: ( أبلد من حمار ) ومثل: ( ماتت الحمارة وانقطعت الزيارة ). ومثل: ( مثل مزاح الحمير كله عض ورفس) ومثل: ( مثل حمار العرس تشيله زبل يشيل، تشيله ذهب يشيل ) ومثل: ( مثـــل عاطل الحمير ما يمشي إلا بنغز ). ومثل ( اللي يطلع الحمار على السطح ينزله )

ومثل آخر يقول: ( إذا عزموا الحمار على عرس، فلنقــل الماء أو حمل الحطب)
و مثل يقول: ( شُوعرف الحمير بأكل الزنجبيل؟) . كلمة "شو" تعني ماذا ؟

## الابــن الحمــار

من منالم يقل لابنه يوماً " أنت حمار " في ساعة غضب أو زعل ولكنك عندما تعلم أن أحدهم قد وصف ابنك بالحمار تثور وتعترض ، ومع ذلك فإن الابن الحمار هو الذي يعطل المشاريع التي يزمع الأب القيام بها ومن ورائه العائلة تلك المشاريع التي تصب في خير العائلة وهذا التعطيل مرده إلى قلة الخبرة التي يتصف بها هذا الابن، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، فتراه أي الابن يعترض على مواعيد الإجازات ويعطل مشاريع الأسرة الترفيهية ولايتجاوب مع أهله ويحجم عن الذهاب مع العائلة في مشاويرهم بحجة الغيرة على أخواته وأمه من ان يراهم أحد أصدقائه، وتراه يريد غرفة منعزلة له لاستضافة زملائه، وهو يشكل بالنسبة للأسرة حزب معارضة، فتراه يقلب سعادتهم إلى تعاسة ويحلوا له تحريك أمور الأسرة لأنه أصبح كبيراً فتراه يتعدى على سلطات أبوه في كل شيء ويعمد إلى محاولة حل مشاكل الأسرة من منظوره هو وكأنه صاحب خبرة، إنها فورة الشباب وعنفوانه الذي نعرفه جميعا، وقد شكا لي أحدهم بأن ابنه يعتزم بيع بيت

الوالد بمجرد موت الأخير لأنه لايرغب المكوث في المنطقة التي يقع فيها بيت أبيه، وكثيرون يريدون أن يموت أبوهم ليرثوه . . وهذا ناتج عن تدني الأخلاق الاجتماعية بين الأبناء في هذا العصر، ولا نقول كل الأبناء، بالطبع، وهذا بسبب طغيان المادة وسيطرة الفكر الغربي على أذهان الشباب في الأغلب، ولكن لو خليت خربت.

**دعسة الحمار**

هذه المرة ليس الحمار بشحمه ولحمه، ولكن فقط نكتفي بدعسته، ويبدو هذا العنوان غريباً نوعاً ما، ولكن إذا علمنا بأن هذا الاسم هو اسم لنبات يسمى أيضاً حشيشة السعال أو خطوة المهر، وهو نبات طفيلي ينبت في الأماكن الرطبة، ويعتبر الجيولوجيون وجوده بكثرة في مكان ما دليلاً على وجود (الألومين) في ذلك المكان، يزهر هذا النبات في الربيع أزهار صفراء جميلة ذات رائحة لطيفة وطعم حلو، تحتوي على مادة لعابية ملطفة للسعال، وعلى عطر قليل المرارة، وإذا نقعت هذه الزهور كان منقوعها مهدئاً لاحتقانات البلعوم والفم، على انه يجب نخل الزهور وتصفيتها قبل النقع لتجنب التهيجات التي قد تسببها، وبما أن مذاقها كمذاق التبغ الأمريكي فإن الأطباء ينصحون بها المدمنين على التبغ إذ تعوضهم بمذاقها عن التبغ

وتساعدهم على ترك التدخين. ( المرجع كتاب الغذاء لا الدواء لمؤلفه الدكتـور صبري القباني صفحة ٤٢١ ).

وأقول هذا هو الحمار يتدخل في الشفاء من السعال أيضاً.

## الحمار الوحشي

هذا حمار من اسمه متوحش، ويختلف عن حمارنا الذي ألفناه وألفنا، هو في الغالب مخطط بالخطوط السود التي على جسـمه، فحمارنا العادي عملي يخدم ويجبرنا على احترامه أما هذا الحمار فلا أعلم بالضبط ماهي الفوائد التي يجنيها أهله منه، أخشى أنه يأكل ويتجشأ فقط، كما يقول المثل الذي أخرجته من جعبتي للتو خوفا من ألا يفهم المثل الخليجي الذي يقول ( يأكل ويمش يده في الماعون أو في الطوفه وهي الجدار الكويتي ). ومعنى يمش أي ينظف يده في نفس الصحن من شدة كسـله، ولكني بعد الاتكال على الله هرعت الى بعض القواميس الـتي وضعتها جامعة اكسفورد ووجدت في خانة حرف الزد الانجليزية مايسمى (زبرا) وهي اسم لهذا الحمار المخطط واليكم نقلا حرفيا لما ورد في تلك الموسوعة، بالطبع بعد الترجمة من الفقير إلى الله. تقول الموسوعة هذا الحمار يعيش في إفريقيا و لونه أسود وأبيض أو بني وأبيض وعلى شكل خطوط طويلة، وتمتد الخطوط من

رأسه وحتى ذيله وتنزل إلى ساقيه في شكل واضح، ولكنها في الواقع تساعد على التعرف على هذا الحيوان، أما طوله فيساوي ٩٠ - ١٢٠ سم إذا قسناه عن الكتفين، وعلى العموم فيوجد من هذا الحمار أو الحصان المخطط ( لاحظ أن الموسوعة قد أطلقت عليه حصان، وهذا تكريم له ربما ) ثلاثة أنواع نوع طويل الآن يعيش في المناطق الجبلية من إفريقيا الجنوبية وهو رشيق الجسم ولكنه نادر جدا، أما الأنواع المتعارف عليها، فيعيش في صحاري جنوب إفريقيا .

أما النوع المسمى ( غريفي ) فيعيش في الشمال الشرقي من أفريقيا، وهو أكبر حجما وفيه الكثير من الخطوط مقارنة بالأنواع الأخرى. إنتهى كلام الموسوعة.

لقد علقت التعليق بين قوسين أعلاه والذي مفادة أن الموسوعة أعلاه قد جبرت خاطر هذا الحمار وأطلقت عليه حصانا .

لا أظن أن هذا حدث سهوا من الموسوعة الإنجليزية ذائعة الصيت، حيث أن الأمر إما تكريم، أو أنه له أصل يستند إليه، وأظن أن الأمر بعيد كل البعد عن موضوع البغل الذي تحدثت عنه في عنوان مستقل.

المهم هو أن الحمار قد ورد جنبا إلى جنب عند الحديث عن الحصان مع ما يبديه الناس عموما - وأنا منهم - من تبجيل للحصان. . وذلك خاضع بالطبع للموروثات التي تلقيناها، منذ الصغر. .

## يو-٢(حمار ) العمل الجاسوسي

هذا العنوان ليس من عندي فقد وقعت عليـه عينايا في صحيفـة "اليـوم" العدد ١٠٨٣٤ يوم الأربعاء الواقع في ١٢/٢/٢٠٠٣ميلادية ، وقد فرحـت بـهذا المقال لأني وجدت من يتكلم عن الحمار ويعطيه أهمية بالغة لدرجة أنه يقرنه بالعمل الجاسوسي ، فهل بقي شيئاً لم يدخل أنفه فيه حمارنا ، هـذا وهـو حمار فلوكان غير ذلك ماذا يا تراه يعمل ، وعلى أية حال فإنني أورد هذه المقالة فيما يلي من سطور بين قوسين نصاً لا اقتباساً من قبيل الفائدة لما ورد فيها من معلومات لابأس بها : [ واشنطن - د ب ا ، طائرة التجسس يو-٢ التي أشار إليها العراق في موافقته على تحليق طائرات الاستطلاع في مجالة الجوي ، هـي الطائرة التي تعتبر حمار الشغل في مهام التجسس الأمريكية منذ بدء تحليقها في عام ١٩٥٥م وهـذه الطائرة القادرة على التقاط المعلومات بغض النظر عن حالة الجو أو الوقت سواء في ساعات النهار أو الليل ومن ارتفاعات تصل إلى أكثر من ٢١٠٠٠ متر هـي طائرة بمحرك واحد تشبه الطائرة الشراعية ذات الاجنحة الطويلة والضيقة .

وطبقـا لمـا هـو مسـجل في دليـل الحقـائق العسـكرية الأمريكيـة، فـإن الطـائرة يـو -٢ قـادرة علـى التقـاط الصور بأجـهزة استشـعار متعـددة وجمـع بيانـات عـن طريـق العدسـات الألكترونيـة والأشـعه فـوق الحمـراء والـرادار ، كمـا أنـها

تستطيع التقاط إشارات المعلومات الاستخباراتية وبث الكثير من البيانات التي تلتقطها إلى مركز الاستقبال الخاص بها على الفور.

والطائرة الخفيفة التي يبلغ طولها ١٩ مترا وعرضها على امتداد جناحيها ٣٢ متراً ، يصل مداها الى ١١٠٠ كيلومتر، مما يعني أنها لاتحتاج إلى التزود بالوقود لمرات عديدة ويقود هذه الطائرة طيار واحد يرتدي حلة تتحمل الضغط العالي كما أن الارتفاع الشاهق التي تحلق عليه الطائرة يو -٢ يجعلها بعيدة عن مدى نيران المدفعية المضادة للطائرات.

وفي إحدى المهام الفاشلة للغاية التي تعرضت لها الطائرة يو-٢ ، تم إرغام الطيار الأمريكي فرانسيس جاري باورز على الهبوط فوق الاتحاد السوفيتي حيث جرى احتجازه نحو عامين، ولم يتضح حتى الآن ما اذا كان باورز يحلق على ارتفاع منخفض جداً أو ما العوامل الأخرى التي أسهمت في هذا الفشل.

وفي عام ١٩٦٢ م كانت الصور التي التقطتها طائرة يو-٢ هي التي أظهرت أن الروس نصبوا صواريخ على جزيرة كوبا مما دفع العالم الى حافة حرب عالمية ثالثة).

وأقول أظن أن لفظ الحمار الآن قد تحرر من العقدة التي ألمت به بعد أن طار إلى الفضاء الخارجي!

**الحمار المتقاعد**

هـذا حمـار قـد غلبـه نعـاس دهـري فـأصبح ميتـا وهـو قـاعد، وهـي الترجمة التي يطلقها البعض على المتقاعدين من البشر، فقد ترجم لي هـذه الكلمة أحد الأصدقاء الظرفاء الذين لم أقابلهم منذ مدة بقوله:

"أخشى أن أتقاعد من وظيفتي فيطلقون علي متقاعد" وعندما سـألته ماذا في الأمر فأنا متقاعد بإرادتي لا بإرادة أرباب عملي ومنذ مدة طويلة وبدون راتب تقاعدي، عندها تعجب كثيراً وليس قليلا مع أنه يعرف قصتي مع التقاعد، ولكنه لايستوعبها لعدم إيمانه إلا براتب التقاعد الثابت، مما يجعله يعيد تعجبه مرة أخرى بعد أن نسي أنه سبق له وأن تعجب في المرة السابقة. أعود إلى الحمار المتقاعد حتى لاننسى أنه لا يختلف عن البشر مع احترامنا الشديد لكل المتقاعدين، الذين في نظري ينقسمون إلى قسمين القسم الأول الذي لايزال فيه كما يقول أهل الخليج (عضة) وليست هذه العضة عضة كلب اللهم أجرنا، فإن المتقاعد لوعضه كلب لأصبح ميتاً نائماً، وليس ميتاً وهو قاعد هذا أمر لاشك فيه، لأن الكلب سوف لن يجد لحماً في المتقاعد من هذا النوع بل سيجد عضماً خشناً ما أن يمسك فيه حتى تسري جراثيم الكلب في جسد المتقاعد

وتزيد من تقاعده ليصبح تقاعداً مستكلباً، غير قابل للشفاء، ولكن بعض من المتقاعدين فيه نوع من المثابرة وشيء من الحيوية وهذا مرده إلى التقاعد المبكر، حيث يعمد المتقاعد إلى تطوير نفسه وتعزيز قدراته الذاتية إما بالقراءة التثقيفية أو بممارسة نوع من الرياضة، أو بالسفر البريء المفيد إن صحت هذه الكلمة، أو بالقيام بأعمال مفيدة، أو بالانضمام في نوادي ثقافية، أو الانخراط في جمعيات النفع العام، كالجمعيات الخيرية، وما إلى ذلك من النشاطات المفيدة والبناءة له ولمجتمعه. وأتذكر أن بعض الأطباء قد كتب في بعض الصحف المحلية أنه من المفيد الاستفادة من بعض المتقاعدين المؤهلين وهو منهم فقد كان يدافع عن نفسه فيما يبدو، نعم الاستفادة من المتقاعدين المؤهلين في بعض الأعمال التي يحسنونها، والتي في الغالب كانت ضمن خبراتهم العملية في سني العمل، قبل أن يموتوا وهم قاعدين، على حد تعبير صاحبنا الأول، الذي يعجب مني عندما تركت الخدمة، ولم أتقاعد من نفسي مبكراً، حتى لاأموت وأنا قاعداً مثله ؟!

أما على النقيض من ذلك إذا ماتقاعد الشخص وهو مجرور "بونش" المصلحة التي يعمل فيها فهو بذلك ينتظر ساعة الصفر من أولاده الذين أصبحوا لايفكرون إلا

في المبالغ التي سوف يحصلون عليها بعد وفاته، ولست متطرفا في هذا الحكم أبدا فقد حدث أن كثيرا من الأبناء الذين يناقشون ثروة أبيهم قبل موته، وهذا من ضعف الإيمان والجشع والطمع الذي استشرى عند هذا الجيل وليس كلهم بالطبع ولو لم يصرح الأولاد بشيء من ذلك مباشرة الا أن نواياهم وتصرفاتهم تنم عن شيء من ذلك فالأحلام كثيرة، وكيف يحققونها مع وجود الوالد الذي يعتبر بخيلا في نظرهم وبمفاهيم العصر الحالي، ويشكل حاجزا أمام تحقيق تلك المطامح المادية من شراء السيارات الفارهة الى السفر والاستمتاع بتلك النقود التي سوف يخلفها لهم آجلا وليس عاجلا مع الأسف الشديد من منظورهم الأخلاقي، ومهما بالغنا في موضوع التربية وأثره على الفرد إلا أن متطلبات الحياة في أعين هؤلاء النشء تطغى على كل المتخلقين، والاحتكاك بالآخرين ومحاولة عقد المقارنات بين حياتهم وحياة هؤلاء تضع المبرر تلو المبرر أمام هذا النشء المترقب التخلص من أهله حتى يدخل مضامير الحياة الكريمة التي لن تتحقق الا بموت الأبوين أو أي منهما ، كل هذا مع وجود هامش لابأس به من الأخلاق والفضيلة والطهر ولكنها الحياة ومعطياتها الجديدة التي تترك آثارها السمجة إن صح القول على سلوك هذا النشء مهما حاول التخلص من كوابيسها المريرة. . متشبثا بإيمانه بالله والصبر وتلمس طريق الخير والتمسك بالفضيلة إلى آخره من المبادى الطيبة التي نرجو ألا





يخلو منها مجتمعنا يوماً ما . أعود ثانية إلى الحمار المتقاعد، وأقول، لقد جئت به كنوع من الرمز على الطريقة التي انتهجتها في هذا المؤلف، وهدفي أن أعلن هنا أنه من الأفضل أن تكون الأشياء واضحة وأن تكون الأمور تخضع لصراحة ولو كانت مرة، وتبدو قبيحة المنظر، كما يجب ألا ندس رؤسنا في الرمال، فعندما يتقاعد الأب يتفرق عنه بعض الأبناء يميناً ويساراً، ويشعر بالوحدة وهو في منزله وبين أهله وكأنه في مأوى عجزه، كما يصبح شبه عالة على الأسرة، فلا تعد المراة تنعم (بالسوالف) المعتادة مع رفيقاتها لأن أبا العيال مريض وربما يحتاج شيئاً ما، ناهيك إذا كان شديد المرض ويوم في البيت وأسبوع في المستشفى، ينتظرون له الفرج كما يقولون أحياناً لشديد المرض الذي ربما لايرجى برؤه. نعم كما أن العيال لايستطيعون السفر لارتباطهم بأبيهم، الذى ربما يودع الحياة الفانية إلى الحياة الباقية في لحظة يكونون هم غير موجودين، كما أن الجيران يترقبون موت جارهم حتى يقومون بواجب العزاء، فقد سمعت بأذني أن أحدهم قد بدأ يتضجر بعد أن ذهب إلى مأتم أحد المتوفين من أقاربه.بحجة أن هذا الميت كان الميت رقم ثلاثة أو أربعة، كما أنه أجل ويؤجل سفره، ترقباً لموت أحد كبار السن، ممن يعرفهم أو من أقاربه، أو أقارب زوجته خوفاً من ماذا ؟ من أن يموت أحد هؤلاء الطاعنين في السن وهو ينعم بأجازته، فيضطر إلى قطع الاجازة والعودة وربما خسر تذكرة



دون طائل. والحمار المتقاعد هذا نظيف ليس لديه أموال ولا أولاد ولا أهل، فكيف يتضايق منه أهله وقد تضايقوا من صاحب الأموال التي تأخرت جبايتها من صاحبها لأنه فقط طويل العمر نوعا ما . وقد أشيع أن الحمار الذي يكبر في السن يؤخذ إلى مكان منعزل ويتم التخلص منه وذلك بقتله وتركه لتأكله الكلاب بعد أن كانت الكلاب تهابه وتخشاه ، فأين الوفاء لهذا الحيوان الذي طالما سقى الزرع وحرث الأرض وامتطينا صهوة ظهره، بل وافتخرنا به فهذا حمار " فلاحي" أصيل ، حتى الأصالة كان رمزا لها وليست رمزا له. .

أي عزة بعد هذه العزة وأي ذلة بعد هذه الذلة ؟ !

إنها الحياة التي مر بها ذلك الحمار المقتول وهو قاعد وليس الميت وهو قاعد أي جريمة هذه؟، أليس الأجدر أن يموت موتة ربه. .

الأوروبيون تزداد ثقافة الواحد منهم عندما يتقاعد، بل ويقرأ ما لم يقرأوه، ويرى كل شيء لم يتمكن من رؤيته، بل وينعم بكل شيء لم ينعم به أثناء الخدمة، والبعض يعمد إلى تأليف كتاب، وآخر ينخرط في جمعيات نفع عام، وآخر يفكر في أشياء مفيدة، وآخر يحاول حل مشكلة مستعصية بين بلدين، الى آخره من الأعمال الخيرة. أما بعضنا وأقول بعضنا فيصبح عالة على مجتمعه وعلى عياله وعلى نفسه، فهو شخص غير منتج غير مفيد يسعى إلى تحبيط حتى الآخرين من



الذين يميلون الى أداء عمل معين كالكتابة أو القراءة أو بعض النشاطات البيتية المفيدة للعقل والبدن على حد سواء، فلا فيه خير لنفسه ولا للناس، فتراه يعمد الى نشر الاشاعات المغرضة وتتبع أخبار الناس والإمعان في حسدهم، هذا راح وهذا جاء، وهذا طويل وهذا قصير وهذا (شفناه) في المحل الفلاني وهذا (شفناه) في المحل (الفلتاني)، وعلى هذا المنوال ليلا ونهارا، وكأنه طفل لايكل ولا يمل، فمن حسد إلى غبطة الى إشاعة كاذبه، إلى ذم في الناس الى هتك في أعراضهم، إن مثل هذا الشخص يستحق أن يموت وهو منكس الرأس وليس قاعدا أليس كذلك ؟ وكانه لم يقرأ أبداً مايشير إلى أن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ؟.

لم أريد أن أدمج بين تصرفات الأولاد وأبيهم المتقاعد أو الميت وهو قاعد على رأى زميلنا، صاحب هذا المصطلح، ولكن من أين لي ألا أدمج بين الأمرين أليس المتقاعد مايلبث أن يصبح تحت رحمة أولاده بعد أن كان هو الآمر الناهي في بيته؟. إن أموراً سوف تتغير بمجرد تقاعد الأب، فالراتب سوف يقل بالطبع، وهذا سوف ينعكس على مدخولات الأسرة، ومقدار مايتمتعون به من حرية ومقدرة شرائية على رأي الاقتصاديين، فكثير من الأولاد من ينصح أباه بالعثور على وظيفة أخرى بعد التقاعدحتى يزداد الدخل وتنعم الأسرة ببحبوحة ربما

تفوق تلك التي كانت قبل الموت المتقاعد انها علاقة متصلة بين الأسرة وبين موضوع تقاعد أبيهم، كما أن الأب أو بعض الآباء سوف يزداد تدخله في أمـور المـنزل، الذي أصبح مكشوفاً له، فهو أي الأب لايستطيع إلا أن يعطي رأيه في الكثير من الأمور التي كانت خافية عنه أيام سني الخدمة خارج المنزل، إبتداء من تصريف بعض الأمور الصغيرة والمتوسطة، بعد أن كان لايهتم سوى بعظائم الأمور، وهـذا يوجد ضغطاً غير مستحب على الأسرة، وخاصة الزوجة التي كانت تنعم بالمزيد من الحرية أثناء غياب الزوج من استقبال رفيقاتها والحديث على الهاتف لفترات طويلة دون رقيب أو حسيب، هـذا إذا افترضنـا حسـن النوايا بـالطبع والعفـة والشرف بإذن الله، أما الحالات النادرة من تدني الأخلاق فليس هـذا مانحاول الحديث عنه فله مواضيع أخرى، ولا يشكل هاجساً لنا في هذه العجالة.

نعم إن الزوج المتقاعد يكاد يقذف به، مثله مثل الحمار المشنوق حياً، وإن حدث ذلك في أوساط غريبة، ستظل غريبة على مجتمعنا بإذن المولى عز وجل إلا أن شيئا منها قد حدث بالفعل ولو على نطاق ضيق جداً، نرجو ألا يتسع، ولقد أشارت بعض الصحف إلى شيء من تلك الحوادث التي نرجو من الله أن تظـل معزولة وعلى نطاق أضيق من الضيق. إن العبء يقع على الجميع في هـذه المسالة الشائكة التي يراها الكثير بسيطة ولا يعير لها أي انتباه وأراها صعبة جداً.

إذا يتحول الشخص المرغوب فيه في مجتمعه وبيته إلى شخص غير مرغوب فيه، ويدخل ضمن منظومة الثرثارين والعجزة وقليلي الحيلة منتظراً الموت يحل به، بعد أن كان سيد مجتمعه، وعزيز قومه أليست مفارقة عجيبة تستحق التأمل.

أقول إن العبء يقع على كاهل المجتمع والأسرة بمافيها الأولاد والزوجة ومن ثم الشخص الذي نرجو ألا يموت وهو قاعداً، أو يأتي يوماً يموت بطلقة رصاص كالحمار المنتحر بيد أهله الذين خدمهم وأفنى عمره وشبابه في خدمتهم ورعايتهم.

وإذا كان لي من نصيحة من واقع خبرة بسيطة في موضوع التقاعد فإني أوردها هنا، علما بأن أي من هذه النصائح يمكن أن تصلح لشخص وربما لاتصلح لشخص آخر، وذلك بحسب ظروف كل شخص وهدفه في الحياة، ولكن مع ذلك ولأن جميع الناس متساوون في نواحي إنسانية عديدة خاصة بعد سن معينة، أجد هذه النصائح لاتخلو من فائدة لجميع المتقاعدين مع اختلاف أهدافهم في الحياة ومتطلباتهم، وهذه النصائح هي :

- ضرورة أن يفكر متى يتقاعد الموظف قبل موعد التقاعد بوقت كبير ولعدة سنوات لاتقل عن خمس سنوات، ليس هذا فحسب بل يجب عليه أن يفكر في نوع العمل الذي سيقوم به، ولا أقصد بالعمل هو عمل بديل لعمله الحالي، بل أقصد نوع

الهواية التي سوف يمارسها وأركز على موضوع الهواية التي يرتاح لها، وتشكل بالنسبة له ملجأً إذا ما أحس بالوحدة أو الإنزواء على نفسه مثلاً، بعد أن أدار له الناس ظهورهم، كما يفعلون مع كل من ترك منصبه غالباً إلا القلة . .

- أن يعمل المتقاعد في وقت مبكر على التخفيف من أعبائه المالية، بحيث لا يكون عليه بقايا ديون أو مطالبات مالية، إلا في نطاق ضيق، وأن يكون لديه مصدر دخل خاص به منفصل عن أبنائه.

- أن يكون المتقاعد واثقاً من نفسه أثناء فترة تقديم طلب التقاعد لدرجة كبيرة، بحيث لايلتفت الى التعليقات من هنا وهناك خاصة زملاء العمل والناس المحيطين، وأن يكون على بصيرة فيما هو مقدم عليه.

- أن يمهدالطريق ويحصل على ولوعلىموافقة مبدئية من أولاده وخاصة زوجته بحيث لا يؤثر تقاعده على بعض تطلعات الأولاد وأمهم خاصة المادية منها، بمعنى أن يعمل على التأكد من أن الاسرة مستعدة نفسياً وذهنياً لموضوع تقاعد والدهم، وأن تكون طموحاتهم الشخصية أقل ما يمكن في تلك الفترة.

- ألا يكون تقاعده فقط مبني على مواضيع مادية فقط بعيداً عن النواحي النفسية، ولو أن النواحي المادية مهمة جداً، ولكني قصدت، أن تلعب جميع الأمور المادية والنفسية والاجتماعية والثقافية دوراً يكمل بعضه البعض.

- توزيع الوقت، وعدم الاستيقاظ مبكرًا كما كان في السابق لأن مثل هذا العمل يزعج أفراد الأسرة خاصة الزوجة التي لاتعمل خارج المنزل، فبعض الآباء يوقظ أولاده في العطل باكرا ويزعجهم.

- ألا يمثل دور المدير في منزله، خاصة بعد تقاعده، إذ أن هذا الدور غير محبب لأصحاب المنزل، لاقبل التقاعد ولا بعده وخاصة بعد التقاعد، إذ أن الحساسية تزداد ضد مطالب الزوج بعد التقاعد، بخاصة، وهذا يجعله أي المتقاعد في موضع حرج، فربما لبيت مطالبه، ولكن على مضض، من منطلق الخشية أن تكون مطالب الزوج تزداد غالباً بعد تقاعده، أو يخيل لأفراد أسرته أنه بدأ يطالب بوضع تميزي خاص نظرا لتواجده أكثر من ذي قبل في المنزل، أو لمجرد طرد الملل.

- أن يفكر المتقاعد جيداً في مشاريعه المستقبلية قبل التقاعد، وبعده، ويعمد إلى وضع أولويات يقوم بالبدء بتنفيذها قبيل تقاعده أولا بأول حسب استعداده المالي والنفسي، وأن يشارك أفراد عائلته وخاصة زوجته في مثل هذه المشاريع، حتى لاينظر إليه على أنه متفرد بالقرار، وهذا مايجعل أفراد الأسرة يستكثرون عليه مايقوم به، وما ينفقه من مصاريف على الأنشطة التي يقوم بها، ولو كانت قليلة ومن موارده الخاصة، أما إذا أخذ رأيهم، ولو على سبيل المجاملة تخف

النقمة عليه، فلربما كانت لأحد أفراد الأسرة أهداف أخرى لاتأتي على بال هذا المتقاعد، كشراء سيارة من قبل أحد الأولاد مثلا، أو رغبة الزوجة في شراء قطعة ذهب مثلا، لذلك يحسن دمج الأهداف الأسرية.

- محاولة عدم التفكير خارج نطاق أفراد المنزل حتى لاتزداد العزلة بينه وبين مشاركيه السكن من أولاده وزوجته، بمعنى أن يحاول أن يشاركهم التفكير وترتيب الطموحات المنزلية إن صحة هذه التسمية . حتى لاينظر إليه وكأنه يفكر وحده، ويتهم بالسلبية وحب الذات على حساب الأسرة.

- أن يتجنب الجلوس لوحده ما أمكن في غرفة منفردة، وأن يحاول محاورة أولاده، والتقرب إليهم، ولاينتظر حتى يتقربون اليه، كلما وجدت فرصة، حتى ولو تحين الفرص هو بنفسه، وعمل على إيجادها، لأن الأولاد في مثل هذه الظروف يبتعدون عن أبيهم نوعاً ما منشغلين بأعمالهم من جهة، أو لأنهم لم يعد لديهم مايقولونه له، نظراً لفارق السن، وأحياناً لما يلمسونه من عزوفه عنهم.

- أن يهتم بمظهره العام، والا يحاول استعمال ثياب أولاده المستعملة، فبعض كبار السن، يسارع الى استخدام مخلفات أبنائه خاصة الكبار منهم من لبس أو غيره أو أكل بقايا الطعام، من منطلق التواضع وحفظ النعمة، التي أمرنا بالحفاظ عليها، والتي يمكن المحافظة عليها بأساليب أخرى، بدلا من أن يكون الطاعن في

السن سلة مهملات ومستودعا لها، وذلك حفاظا على هيبته في الأسرة وعدم تسرب مثل هذا العمل خارج نطاق الأسرة الصغيرة إلى الجيران، مما يجعل هيبته في الحي تنخفض عن ذي قبل، خاصة إذا علمنا أن النساء غالبا ما تسرب أخبار الأسرة خارج المنزل، عن حسن نية، وبدافع من الثرثرة أحيانا أو لتبادل الأخبار أو لتحميل الزوج فواتير التلفون.

- الحرص الشديد على عدم فتح حوارات ساخنة مع الأولاد، بل تكون الحوارات هادئة وتتم باحترام خاصة لشخص الأب، ومحاولة الهروب أحيانا إذا لزم الأمر من الجدال العنيف مع الأبناء خاصة ومن بعدها تأتي الزوجة، وذلك بهدف حفظ كرامة الأب من أن تنتهك من قبل أبنائه الأعزاء، فبمجرد أن تتطاول الألسن على الأب يفقد احترامه لدى الأسرة بشكل مبدئي، ناهيك عن تسرب مثل هذه الأنباء إلى الجيران الذين يصفون الزوج بالنعوت ويصبح علكة في أفواه الناس.

- الحفاظ على صحته بعيدا عن المبالغة الشديدة، فالصحة عامل مهم في إيجاد توازن بينه وبين أولاده، فكلما كان صحيح البنية كلما كان محبوبا أكثر وهذا أمر طبيعي، خاصة مع تعقد الحياة وارتفاع تكاليف العلاج، والمعاناة من مراجعة المستشفيات حتى الخاصة منها.

- ألا يلجأ إلى أسلوب الوعظ المتكرر مع الأبناء حتى لايحصل ما يشبه الضجر منه، وإذا كان ولا بد من الوعظ والإرشاد لأبنائه فليكن في أوقات متباعدة، وبعيداً عن استهجان ما يقومون به من أعمال أو إلصاق التهم بأولاده، حتى لا يتفرقوا من حوله، فكثير من الأولاد عندما يكبر ينظر الى نصائح أبيه وكأنها من القرن الفائت، ولاينتبه إلى جدواها إلا بعد أن يكبر هو الآخر، ويكون الأب قد مات.

- ألايعمد إلى تسليم كل موجوداته إلى أولاده، بدافع الشفقة الشديدة عليهم، ومن ثم يستجديهم لقمة العيش، إذ أن عموم الأولاد ، ينظرون إلى أن كبير السن مطالبه محدودة جداً وزاهداً في الحياة ولايعملون أي حساب لمتطلباته المادية التي تطرأ فجأة كالمرض المفاجىء مثلا والذي يتطلب مصاريف كبيرة في وقت قليل كأجرة العمليات الجراحية باهظة الثمن مثلاً، إذا علمت أن بعض المتوفين في بعض الدول لايجد أهله قيمة مصاريف تجهيزه وإخراجه ودفنه، مع أنه كان غنياً، ولكن أولاده بددوا كل ثروته وهو على قيد الحياة، بدافع من طيبة قلبه وشفقته الزائدة عليهم، ولحل هذه المعضلة يلزم أن يكون الأب قوي القلب وأن يتدرب على ذلك، وأن يضع حداً لتسلط أبنائه عليه، وأن يعمد إلى " نسيان " مبلغ من المال في أحد البنوك كي يصرف منه سواء إذا تفرق عنه أفراد أسرته وتركوه، وهذا يحدث كثيراً

أو في حالة موته، ومايحتاجه من مبالغ للصرف على جنازته.

- قلت في مامضى أنه من الضروري أن يكون لدى المتقاعد عملا يؤديه، أو هواية من نوع ما، ولكن إذا كان ولا بد من عمل، فيجب ألا يكون صعبا، كأن يدخل في أعمال أخرى أكبر من طاقته الجسدية، فبعض الموظفين تراه يعمل على تأسيس الشركات والمقاولات ويدخل في مديونيات كبيرة مع الناس وارتباطات لاقبل له بها، ويقع في "حيص بيص" مما يجعله يترحم على سني الوظيفة المريحة، ولايستطيع الخروج من هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه وبإرادته، إلا بالسجن، أو بالإفلاس، أو ربما الانتحار والعياذ بالله.

- كما أن عليه أن يصرف النظر عن تحركات أفراد الأسرة في المنزل فلا يعمد إلى السؤال كثيرا عن من غادر المنزل من الأبناء أو عن من قدم إلى المنزل حتى لايتهم بالحارس الأمني، فبعض الأولاد يتذمرون من متابعة والده لهم وكثرة أسئلته عن أوضاعهم، ولايعني هذا أنه يعمد إلى ترك الحبل على القارب، بل أن يقوم بعملية المراقبة لتحركات أفراد الأسرة دون أن يشعروا، ولكن بشكل لايجعلهم يلاحظون ذلك، وهذا لاضير فيه فهو مسؤول عن عملية الضبط والربط في المنزل ولكن في الخفاء وبأسلوب لايبعث على ردة فعل من الأولاد، الذين لايجب أن يصلوا إلى مرحلة يتصورون بأن أباهم لاعمل له إلا مراقبتهم.. وهنا تبرز المواهب

الفردية بين الناس في أداء مثل هذه الأعمال، فعلى سبيل المثال لا الحصر، إذا ما أحس الأب بأن أعمال النظافة قد ازدادت، فهذا يعني بدون أي شك أن هناك ضيفاً قادماً إلى المنزل وهو في الغالب من أهل ربة البيت، فعليه أن يتحاشى الأسئلة الكثيرة، ويعمد إلى تقصي الحقائق من بعيد من ابنه الصغير مثلاً، وبطريقة غير مقصودة وعفوية، إذا كان يريد أن يعرف قبل أن يخبروه، خاصة إذا كانت ربة المنزل من النوع التي لاتريد أن تخبر زوجها إلا عند اقتراب موعد الزيارة كنوع من عدم إزعاجه، وجعله يحمل هم مثل هذه الأمور، التي ربما لاتتحقق، أو تعرف أن زوجها من عادته أن يحمل هموم من سوف يحل ضيفاً على الأسرة، فهي بذلك تتجنب أن تخبره بالتفاصيل ، حفاظاً على شعورة وراحته النفسية.

- أن يتجنب قدر الإمكان أن يعد بأشياء لايمكن أن يحققها في المنزل، كشراء منزل جديد مثلا إلا إذا أصبح ذلك ممكناً حقاً، حتى لايأخذ الأولاد فكره عن أبيهم أنه يعد ولايفي بوعودة، وهذا يزعزع الثقة التي كونوها عنه فيما سبق.

- عدم الإصرار على برامج في التلفزيون خاصة به بل يحاول أن يتابع برامج مشتركة قدر الإمكان، ولوكانت له برامجه الخاصة التي يرتاح إليها والتي في الغالب لايحبذها الأبناء، مع عدم التقليل من شأن البرامج التي يشاهدونها واتهامها بأنها تافهة، مما يخلق حالة من التفكك الأسري وانعدام روح التآلف.

- ألا يحاول أن يأكل لوحده، مما يعمق روح العزلة بينه وبين أبنائـه، وأن يحاول انتظارهم حتى يصلوا إلى البيت قدر الإمكان حتى يأكل معـهم، لأن في ذلك تشجيعا للمشاركة الوجدانية المطلوبة.

- ولمزيد من النصائح المفيدة أن يتجنب المتابعة الدقيقة لكل الأمور بما فيها السؤال الكثير عن الوقت، فقد علمت أن بعض كبار السن يسألون عن الوقت (كم الساعة) بعد كل خمس دقائق، وقد حدث ذلك معي فقد كانت الوالدة يرحمها الله تسأل عن الوقت باستمرار وكان اخوتي الصغار يبدو عليهم بعض الانزعاج من كثرة سؤال أمي لهم عن الوقت، عندها عمدت إلى تعليم الوالدة كيفية قراءة عقارب الساعة، وبعد إصرار مني على ذلك، مالبثت أن تعلمت قراءة الوقت، ولم تعد بحاجة إلى طلب العون من إخوتي الصغار، وهذه حالة نموذجية، تدلل على أن كبير السن عليه أن يبحث عن الوسائل التي تغنيه عن سؤال الآخرين في المسائل التي تخصه حتى ولو كان السؤال عن الوقت الذي يبدو بسيطا ولا يستحق الذكر، ولكنه مصدر إزعاج للجيل الجديد وغير منظور للجيل الذي يكبرهم في السن.

- ولأن الطريق إلى قلب الرجل هي معدته فإن على المتقاعد ألا يأكل أي شيء تقع عليه عيناه، وأن يعمل ألف حساب لصحته التي لم تعد مثل السابق، فيعمد إلى

اختيار الأكلات التي تناسب سنه تماماً من غير تقتير أو تبذير، خاصة الأكلات المفيدة والتي قوامها الحبوب غير المقشرة والمبشورة مثل إحلال الخبز البر الأسمر غير المنزوع القشره محل الخبز منزوع القشرة، والتركيز على الخضراوات والفواكه الطازجة التي في موسمها ومن نفس البلد التي يعيش فيها، ويفضل أن تكون غير مستوردة، مضى عليها وقت طويل وهي مخزنة كما أن عليه شرب العصائر المفيدة الطازجة، والتقليل من السكريات والنشويات وأكل اللحوم الحمراء وإحلال اللحوم البيضاء محلها، كما أن عليه التقليل من السهر، وعدم الإكثار من التدخين إذا كان مدخناً، وعدم الدخول في ضغوط نفسيه قدر الإمكان أو في صراعات عائلية أو مع آخرين، وإن أمكن الذهاب أو التعود على الذهاب إلى بعض الحفلات أو الأعراس التي يدعى اليها، وأن يشارك الناس الحديث العام بعيداً عن المهاترات الكلامية وإثارة النعرات التي لا لزوم والتي تولد ضغطاً نفسياً لا لزوم له أيضاً، يكون معه المكوث في المنزل أفضل، هذا مع الاستحمام والنظافة ولبس الثياب النظيفة، والذهاب إلى أماكن العبادة وزيارة الاصدقاء، لأن في ذلك الراحة النفسية، والتي تنعكس على الجسم وصحته، فالجسم السليم في العقل السليم.

- بقي أن ألخص كل ماقلته في سطور إذ ربما نسيت شيئاً مما كنت أريد قوله إذ أنه ينبغي على المتقاعد في منزله أن يمعن في عمل هواياته التي يحبها، بعيداً عن

المبالغة، وأن يتمتع بوقته فيما يفيد من هوايات تشمل القراءة مثلا أو الكتابة خاصة التي يحسنها، وأن يختلط بالناس جميعا، خاصة الأشخاص الذين يرتاح لهم، ويفضل أن يكونوا في مستواه المادي والثقافي حتى لا يحدث لديه نوعا من الاحباط إذا ما وجد فرقا ماديا بينه وبين أي منهم أو سبقا ثقافيا يصعب عليه مجاراته أو تعليما أكثر بكثير من تعليمه، مما يجعل من المتعذر التفاهم مع هؤلاء أو التعلم منهم واستيعابهم، كما أن عليه أن يوطد علاقاته بأولاده كثيرا ويذهب معهم في رحلات خارج المنزل بين وقت وآخر، وأن يشارك معهم في بعض النشاطات الرياضية إن أمكن ولابد أن يتناول وجبه واحدة على الأقل في اليوم معهم، ويتجاذب معهم أطراف الحديث وبعض المزاح الخفيف، وكذلك الحال بالنسبة لزوجته يشاركها في بعض شئون المنزل البسيطة، وشكرها إذا عملت عملا يناسب ذوقه، من غسيل أو تجهيز لطعام يحبه، ولابأس بأن يجامل في الأطعمة التي لايحبها، بحيث لايطلب رفعها من على المائدة، بل يكتفي بعدم أكلها، دون الحاجة إلى تقطيب الجبين، أو إظهار الاشمئزاز منها، لأن هناك من أفراد الأسرة من يحب هذا النوع من الطعام، كما أن عليه أن يندمج في الأسرة اندماجا شديدا قدر المستطاع فينام في أوقات نومهم ويصحو في أوقات صحوهم، وهذا أدعى للمشاركة المكانية والوجدانية، كما يحاول أن يتلمس طريقة نحو المشاركة

العاطفية ومثلها الجنسية، وفقا لمقتضيات صحته وفي أوقات تتسم بالصفاء الروحي ومزيد من الوجدانيات، والأفضل بعد العودة من حفل معين مريح له ولزوجته، أو بعد سهرة عائلية جميلة سواء داخل المنزل أو خارجه، إذ أن ترك الاتصال بالمرأة يجعل معينها ينضب، وينخفض لديها الإبداع الفكري، وتشيخ لديها كل الملكات، وربما انعكس ذلك على تصرفاتها في المنزل، فتميل إلى الغضب والصراخ للتعويض عن هذا النقص التكويني، وكذلك الرجل يحدث له الشيء نفسه، مع الفوارق الجسمية والنفسية بين الاثنين.

- وأخيرا وحتى لا أطيل في هذه النصائح فلا شك أنكم أعزائي القراء لديكم من التجارب ما يفوق ملاحظاتي بكثير..

أقول، إننا نستطيع أن نبرز الموقف بين الأبناء وأبيهم في كلمات قليلة يمكن إختصارها في سطر واحد ( ألا يعيش الاب من أجل أولاده ولا يعيش بدونهم بل يعيش معهم.. ).

## حمار الصدر

هذا الحمار باختصار يجلب الماء ليس للناس بل للزرع والضرع، فأية وظيفة أسمى من هذه الوظيفة. كل ذلك وهو مربوط ربطا جيدا بحبال من خلف ظهره

وهذه الحبال مربوطة هي الأخرى في أوعية كبيرة من " الكاوتشوك " البلاستيكي أو تكون مصنوعة من جلد البهائم وهي على شكل دلاء تنزل في البئر، وتسمى بالقرب، وعندما يغدو الحمار تخرج هذه الدلاء من البئر بعد أن تمتلىء بالماء وعندما يروح الحمار تعود الدلاء فارغة إلى فم البئر، وبالطبع فإن حركة هذه الحبال مع الدلاء تتم على بكرة كبيرة معلقة على مايشبه الصواري المبنية من الحجارة الكبيرة تتخللها قوائم خشبية كبيرة – على ما أظن- فترى الحمار وبحركة لا أعرف كيف تتم – إذ ليست لدي الخبرة الكافية – يفرغ محتويات الماء في مايشبه الحوض أولا تمهيدا لسقي المزرعة التي ينساب اليها الماء عبر مجارير رملية من صنع الفلاح تدعى " الثبارة " ومفردها " ثبر "، وهذه العملية تسمى "الصدر" ولا أعرف معنى التسمية بالضبط غير أنني أستطيع أن أخمن بأن الصدر ربما جاء من المصدر الذي نغترف منه الماء لسقي الزرع والضرع كما أسلفنا، أو جاءت التسمية من الصدور عكسه الورود.

وعلى أية حال هاهو الحمار يمدنا بالماء، عندما كان الماء عندنا شحيحا، ليسقينا ويسقي مزارعنا، التي كانت في ذلك الوقت تعتمد على السقي بتلك الطريقة التقليدية، قبل أن نتمكن من جلب آلات الضخ الكبيرة، وسبحان من علم الإنسان مالم يعلم.

## حمـار الـدرس

حمار الدرس ليس المقصود به حمار الدراسة، فحمار الدراسة هو حمار لشرح موجبات الصور، وقد كان بعض الأولاد يبدعون في رسم صور الحيوانات إلا أن بعض الأساتذه كانوا لايشجعونهم لأسباب لامجال لشرحها هنا، أما الحمار الذي أقصده هنا فهو حمار يتفنن في دراسة المحاصيل الزراعية وهرسها، فهو أي الحمار على طريقتنا في التعامل معه مربوط في عمود بحبل متين يسمح بانسياب هذا الحبل في دائرة يكون العمود مركزها، أما وظيفة هذا الحمار فإنه ما أن يدور حتى يقوم بقصد أوبدون قصد بدرس وهرس المحاصيل كالحبوب وغيرها، مما يجعلها تنفصل عن قشرتها وتكون جاهزة للاستعمال الآدمي، ولنا أن نتصور أن هذه الحبوب لاتكون جاهزة لاستعمالنا الآدمي الإنساني إلا بعد أن تمر من بين ومن تحت أظلاف وقدمي هذا الحمار الذي لم تتجرأ في حركة إنسانية ونمنحه لقباً أحسن من هذا اللقب. أو على الأقل لانسبق لقبه أي حمار على أي شخص لايرجى منه خيراً أو قليل الأدب. فها هو الحمار يؤدي لنا أسمى الوظائف التي لانستطيع القيام بها لحقب تاريخية طويلة قبل حلول الآلات العملاقة محل مايقوم به الحمار من وظائف، وليس هذا فحسب فإن الحمار كان لاينال تلك المكانة التي هو جدير بها من التكريم إلا لدى أوساط معينة ربما تخاف الله، فأحيانا يقوم



صاحبه بضربه إذا كل أوتعب، وينسى أن يقدم له العلف والماء أثناء العمل بحجة أنه ربما إذا أكل يمتد اليه الخمول فلا يعود قادراً على العمل.

## حمـار "البـوني"

هذا الحمار أستحي من أسميه حماراً، إذا اتفقنا على أن تسمية حمار تحط من قدر المسمى به هذا الاسم، مع أنني لي رأي لحت عنه فيما سبق من سطور بأن اللفظ يحتاج إلى إعادة نظر في ظل ماقدمه الحمار لنا من منافع لاتحصى ولاتعد في وقت من الأوقات قبل غزو الآلة لنا، نعم إنني أستحي أن أسميه حماراً للأسباب التي أوردتها فماذا ياترى أسميه، إنه " البوني " الحمار، والبوني اسم لسيارة كورية جنوبية أظن أنها من سلالة السيارة الكورية المعروفة " الهونداي " والتي جاءت مشابهة للسيارة اليابانية من حيث الاسم المعروفة " الهوندا " على طريقة كوريا في تقليد اليابان في مخترعاتها ومصنوعاتها كما نعرف جميعاً، وعلى ذكر السيارات فإنني وبعكس ابني البالغ من العمر تسعة عشر عاماً أمل من التحدث عن السيارات وأنواعها بعد قليل أما ابني المذكور، فهو لا يمل ولا يكل عن التحدث عن السيارات على طريقة أقرانه من الأبناء حرسه الله وحرسهم لأهاليهم، وكفاهم الله شر هذه المخلوقة التي تمشي على أربع من " الكاوتشوك "

سريع العطب والانفجار بسبب وبدون أي سبب. وعلى كل حال، فإن البوني هذا هو حمار صغير الحجم قصير القامة مع ذيل طويل يصل إلى الارض أحيانا ولكنه يميل إلى البدانة ودماثة الخلق، ويعمل في الغالب ولدينا بالذات في حمل الأولاد الصغار في الحدائق العامة وقرب مراكز الترفيه الشعبية عموما، ومما جعلني أصفه بدماثة الخلق هو أنني لم أسمع أنه تسبب في رمي أي من الأولاد الصغار أو الأطفال أبدا، عكس الدراجة العنيفة التي أكرهها والمعروفة " الدباب " ، والتي أكره أن يطلب مني ابني أن يقودها، لخوفي عليه من الوقوع خاصة بعد أن تضرر منها الكثير من الأطفال، وذلك لعدم توافر أساليب السلامة.

أقول لذا تراهم أي الأطفال، يطلبون من أهاليهم الركوب فوقه، وسائسه الذي في الغالب مايكون من الجنسية الآسيوية يغني للطفل الراكب على صهوته ويتمايل به، ثم مايلبث أن ينعم ببضع دريهمات تصل إلى العشرة ريالات، مما جعل الكثير من الناس يكثف من هذه المهنة.

ولاني عاشق نظر -كما تطلق علي جدتي - فقد أعجبني في هذا الحمار ذيله بدون الحمار نفسه بالطبع، ومع أنني أشعر بأنني نصير الحيوانات إلا أن هذا الحمار يذكرني بالخنزير قبيح المنظر لا أدري لماذا، إذا استثنينا الذيل الجميل. إن ذيل البوني بطوله وكثافته يثير الإعجاب خاصة إذا ما تخيلته على امرأة حسناء



ينقصها الشعر ! . وهناك من أعرفهم يموتون في الشعر الطويل، حيث في الخليج يعتبر الشعر من علامات الحسن.

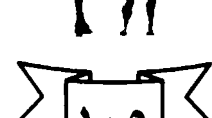
## حمار سويسري

هذا حمار أوروبي، ليس مثقفاً فحسب بل أيضا غني، لايتوانى الناس بل والدول في إيداع مدخراتهم لديه، ولانبالغ أبداً فكل أو معظم النقود تودع في البنوك السويسرية، وهي بالتالي وديعة عند أهل الحمار، فلو مات المودَع لديهم تلك الأموال، فإن العهدة ستؤول للحمار، وبالتالي سنجد أنفسنا مضطرين إلى مطالبة الحمار بقيمة ما أودعناه لدى المؤسسة التي يرأسها، مما يجعلنا نجعل عقلنا أو نحوره ليصبح مثل عقل الحمار حتى يتم التفاهم معه، إذ لو أخذناه بالصوت أو بالسوط كما يقولون فسوف لن نأخذ منه لاحقاً ولا باطلاً، وتضيع أموالنا وشقى عمرنا كما يقولون. وهذا ليس مجرد خيال كاتب. . فهناك في أوروبا ومثلها سويسرا يوصون بأموالهم المنقولة والثابتة إلى الحيوانات، خاصة لمن لا أولاد له، وما أكثرهم في تلك البقاع من العالم، لماذا حتى الإنسان منهم رجلاً أو إمرأة يأخذ راحته، يحب ويعشق دون مسؤولية تذكر، وارتباط، وتربية عيال، مثلنا نبتغي الأجر من الله، فيما نربي، وهذا ديدن المسلم الحق، والحمد لله.

أعود إلى الحمار الذي سوف يصبح مليونيراً، ولاغرابة في ذلك فكثير من الكلاب الأوروبية تمتلك أموالاً طائلة مات عنها ذووها على غفلة من الزمن، إن صح القول. ولكن وللإنصاف أقول إن من ذكرني بالحمار السويسري هو شخص قابلته في أحد دور النشر في مدينة الخبر، بعد أن قلت له أنني بصدد كتابة كتاب عن الحمار، فابتدرني قائلاً لاتنسى حماري السويسري، عندها قلت له وما قصته، فقال، لقد سمعت أو رأيت حماراً سويسرياً، قابعاً في حديقة الحيوان السويسرية، ليس هذا فحسب بل إن هذا الحمار يكاد يكون الحمار الوحيد هناك، انظر كيف هو مدللاً نظراً لعامل الندرة التي يتمتع بها، وليس كالحمير التي لدينا " على أفا من يشيل"، وهذا ما جعله يحظى بالعناية الطبية الفائقة، بل وصل الأمر إلى أن التحليلات التي أجريت له أثبتت أنه واقع فيما يعرف بالوحدة الحمارية، مما يتطلب توفير جو أسري له، وليس أقل من أن عمد المختصون إلى البحث له عن أتان يفترض أن تتمتع بالجمال السويسري المطعم بالجمال الإيطالي وهذا لايمنع أن يتداخل مع جمال الماني، بمعنى أن تأخذ الحمارة من سويسرا ماتتمتع به الأنثى السويسرية من جاذبية، وعلى ذكر الجاذبية السويسرية، أتذكر تلك السويسرية التي ابتدرتني في مطار جنيف، بقولها: أي فندق تريد أن تسكن فيه؟ وعددت لي كذا نُزل (فندق)، فما كان مني الا أن قلت لها منعاً للإحراج

وعدم معرفتي بتلك الأسماء، لاتهم الأسماء، المهم الجوهر وليس المخبر فابتسمت قليلاً، وكأنها تقول في قرارة نفسها، أنتم العرب، نعرف ماذا تريدون، ولكني كسبت في ذلك اليوم، حسنات حسبما أظن، فعندما يسيء الظن فيك أحد تأخذ من حسناته إن وجدت أو يأخذ من ذنوبك ان لم توجد له حسنات، لأنـي واضح المقاصد في تلك السفرة والحمد لله، ومحصن ولكن ليس بالخوذ العسكرية التي ضد الرصاص والفولاذ بل محصنا بأم الاولاد من كل مايعتري الشباب من وساوس، ومن سويسريات، وأخذ وهات. .

لذا، لايعتريني مايعتري بعض الشباب في البحث عن المواخير في تلك الأصقاع، المهم تجاوزت ذلك كله، وأسكنت ذريتي بفندق أربع نجوم يعانق الغيوم، ويطل برأسه البهي على ربما أكبر نافورة في العالم، ولكني وجدت من يلبس الذهب من بني العرب، ويتمختر به في شوارع جنيف، وقد أمن كل سارقي سويسرا، بحجة أنهم أناس غير عاديين، وأغنياء، ومن منطلق أنهم سرقوا خيرات بلادنا فيما مضى وأنقضى، مما يبرر أن نودع الآن أموالنا لديهم، فلماذا يسرقون بعض الحلي من على صدورنا . وكلما هممت بإبداء النصح لمن هم على هذه الشاكلة من الأناقة الزائدة، تراجعت حتى لا أسمع كلمة موغلة في البذاءة " تسد نفسي"، وتمنعني من التمتع بيومي قبل أمسي.



أعود الى الجمال الأتاني الحماري في تلك الأنثى التي سوف تزوج الحمار السويسري حتى يحصن نفسه عما يشين.

أعود إلى هذا الزواج الأسطوري، فأبارك للحمار تلك النعمة التي حباها إياه السويسريون إذلم يبخلوا عليه بأتان تمتلك مواصفات عالمية من ثلاث بلدان، بعد أن كان دائما زعلان، فهل حصل على مثل هذه الزيجة عربي مهاجر حظه عاثر إلى تلك البلاد ؟ في غفلة من أعين العباد . وهو أي العربي مع الأسف لايتزوج إلا الرمم الملقاه هناك، وعينه معصوبة، وأحاسيسه معطوبة، وإذا سألت أحدهم لماذا فعلت ذلك قال: ( خليها على الله لم أجد إلا تلك العجوز التي لها عشرين "بوز " ترضى بالزواج، وكله يهون عشان الفيزا، والإقامة، وبالله السلامة، وإن شاء الله ما في ندامة") . وأقول، لوكنت مكان أي واحد من هؤلاء لما تزوجت عجوزا حتى ولو أعطوني كل فيز سويسرا . . وهذا كلامي النهائي، ولا أبالي . .

أعود إلى الحمار الذي ربما أطال الانتظار حتى نكمل قصته، والذي زوجوه تلك السويسرية، طويلة القوام، واسعة العينين، جمعت بين الحسنيين، بيضاء الخد قاعدة النهد ، لأن أمها المانية طويلة، ودمها خفيف لأن أباها إيطالي الجنسية، وبقية طباعها سويسرية. لابد وأن شعرها أبيض في الأغلب كثلج جبال الألب، فهل بقي بعد من مطلب؟

## حمــار الغــاز

هذا حمار ألفناه في الستينيات، وجزء من السبعينيات، أما الغاز فهو أحد مشتقات البترول، إذ يمكن أن نطلق على هذا الحمار وصاحبه تاجر بترول، فهو ببساطة، عبارة عن حمار يجر خلفه مايعرف بالقاري الخليجي المصنوع من الخشب، ولكن بدلا من أن يكون القاري معد لحمل الأشخاص والأرزاق، قد تم تثبيت برميل عادي عليه ولكن بشكل أفقي، بحيث تكون فتحة البرميل عند مؤخرة العربة التي يجرها الحمار والمعروف بالقاري، وهذه الفتحة موصل بها حنفية (صنبور) تغلق وتفتح، حسب الحاجة، ويقوم سائق هذه العربة بتوزيع سائل الكيروسين المعروف، وهو ما يسمى الغاز على الأفراد، والبقالات الصغيرة. ولا يخفى أهمية الكيروسين في تلك الأوقات، حيث يستخدم للإنارة عن طريق وضعه في مايسمى" الفنر" و " السراج " والمساعدة في الطبخ عن طريق الحطب مباشرة. ومن الجدير بالذكر فإن من يقودون هذا الحمار الذي يجر العربة القاري، هم في الغالب من الجنسية الخليجية العمانية، قبل أن يشاء الله وتتحسن أحوالهم المعيشية، بعد التنمية الشاملة التي شهدتها سلطنة عمان، وأدت إلى عودة معظم العمال خارج السلطنة لتوفر فرص عمل أفضل لهم، ومن الطريف، أن ينادي هؤلاء، كنوع من الترويج لهذه السلعة، بأصواتهم، حيث يرددون على مسامعنا، في

غدوهم ورواحهم العبارة التالية: " غاز . . غاز . . هي بوي . . وهي بوي هي للحماسة . .

## "دونـكي"

"دونـــــكي" هـي بـالطبع التسـمية الإنجليزيـة للحمـار، والأطفـال أصبحـوا يعرفونـها قبـل غيرهـا مـن الكلمـات، وقـد جئنـا علـى ذكرهـا في مسرحيـة المتزوجون لسمير غانم، عندما قالت الممثلة شيرن لزميلها الممثل الذي لاأتذكر اسمه "دونكي" ولكني لا أقصد تكرار أحداث تلك المسرحية، التي خصصت لها عنواناً مستقلا تحت اسم حمار في مسرحية، إنما ما أردت قوله هنا هو أنني وبعد أن فتحت قاموس المورد وجدت أن "الدونكي" له أصل وفصل وتفرعات، فهو في أصل الكلمة يعني الحمار وكمعنى ثان يعـني الشـخص الغـبي أو العنيـد، أمـا اذا أضيفت عليه كلمة " أنجن " أي الماكنة فيسمى بالمحرك الخادم أو المحرك الإضافي الصغير النقال، وإذا أضيفت كلمة " دونكي " إلى كلمة " سنة " تعني الدهر أو الفـترة الطويلـة جـداً، وإذا مـاأضيفت كلمـــة دونكـــي إلى كلمـــة " العمـــل" أصبحت تعني الكدح والعمل الشاق. وهـذا يوضـح مـالهذا الحمـار من معـان بحسب ما يضاف إلى هذه الكلمة.

## قصص عن الحمار

روت لي زوجتي قصة عن الحمار الذهـبي، بعـد أن شـاهدتني أكتـب عـن الحمار التقليدي، ولقد فرحت بهذه القصة التي أظنها تميل أكثر إلى الأسطورة منها إلى الواقعية، فقد روي أن أحدهـم لم يستطع بيع حماره لوجود عيوب فيه، وقد قيل أنه جحا فماكان منه وعلى سبيل التسويق إلا أن دس بضع جنيهات ذهب في مؤخرته، وذهب به إلى السـوق مدعياً بأن هـذا الحمار هو حمار ذهـبي يبيض الذهـب، ولايـتردد في إخـراج جنيـهات ذهبيـة عـدة مـن مؤخرتـه، كلمـا وخـزه صاحبه، فما كان من الناس إلا أن اجتمعوا حول الحمار ليشـاهدوا تلك التجربة الفذة، وبالفعل فقد تقدم صاحب الحمار وقام بوخزه عدة وخزات متتالية، جاد الحمار بعدهـا ببضع جنيهات من الذهـب التقطها صاحبه ووضعـها في جيبـه، واستمرت المزايدة على ذلك الحمار، حتى وصل سعره إلى مبلغ كبير، عندهـا بادر صاحبه وبدهـاء كبير إلى اتمام عملية البيـع على عجـل، واسـتلم قيمتـه وذهب وبسرعة البرق إلى بيته وهو في غاية السعادة، أما المشتري فقد ذهـب هـو الآخر وملؤه السرور والحبور يبشر زوجتـه بالخبر السعيد، فما كان منها إلا أن وضعت ذلك الحمار الذهبي في غرفة الجلوس الرئيسية تكريماً له لانه ليس حماراً عادياً حتى يوضع كأقرانه في الزريبة، فما كان من ذلك الحمار إلا أن أجهز على

أغراض هؤلاء البسطاء تكسيراً وتخريباً، وهو في كل حركة حمارية يكسر شيئاً جديداً، ولكن ذلك البسيط وزوجته يهللون ويفرحون بأن كل تلك الحركات والقرقعات المتتالية من الحمار، إنما هي تعبر عن ولادة جنيها ذهبياً جديداً ينفثه من مؤخرته، ولابد وأن يحدث صوتاً على الأرض أثناء تدحرجه، وهكذا حتى الصباح إذلم يعد في غرفة الجلوس تلك شيئاً في حالته الأولى، ويال هول المفاجاة، فقد ملأ الغرفة المذكورة بأكوام من البراز الحماري، وأصبحت الروائح تنبعث منها، عندها عرفوا أنهم وقعوا تحت غش تجاري من نوع ما . .

## الحمار لدى الأدباء

كنت قد أفردت فيما سبق عنواناً مستقلاً عن الحمار والأمثال غير أنني وجدت أن ذلك غير كاف، بعد أن علمت أن بعض الأدباء كباراً وصغاراً قد تناول بعضهم الحمار بالاسم، فها هو توفيق الحكيم وهو من كبار الأدباء يعنون كتابه بعنوان:"حماري وحزب النساء" في طبعته الأولى لعام ١٩٧٣ من مكتبة توفيق الحكيم الشعبية، وقد لاحظت أن الحكيم قد استخدم الحمار حتى يستهل به الموضوعات التي يريد أن يتطرق إليها من قبيل لفت النظر، بل لقد أكتفى بالعناوين، لجذب انتباه القارىء الذي سيحاول أن يعرف العلاقة بين الحمار

وحزب النساء عندها يمعن الحكيم في شرح ما يريد أن يقول، تاركاً الحمار، لحين البدء في موضوع آخر، وهكذا، وهذا بالتأكيد من منطلق تلطيف الموضوع، وإيهام القارىء أن هذه هي أفكار الحمار وحده، وأنه أي الحكيم مجرد ناقل لأفكار حماره، وبالطبع حمار الحكيم كله حكمه كصاحبه، ورأيه في صميم الموضوعات التي سوف يقولها الحكيم، ولا لما كان حكيماً، ولكن الحكيم في موضوعي النفاق والكفاح، نراه يسترسل في محاورة حماره أكثر.. وكاتب يدعى عزيز نسين، يبدو من إسمه ربما يكون تركي الجنسية ألف كتابا بعنوان: "خصيصاً للحمير!!- مجموعة قصص"، نقلها عن التركية جمال دورمش، والعنوان أيضاً يبدو للإثارة الأدبية فحسب، ولجذب انتباه القارىء، لأن الموضوعات بعيدة نوعاً ما عن الحمار. بعد أن استعرضت هذه الكتب اتضح لي أن حماري ومؤلفي بلا غرو من أقرب المؤلفات اللصيقة بالحمار، وتعداد مثالبه.. هذا ما أستطعت العثور عليه، وربما هناك مؤلفات تبحث في الحمار إن وظيفياً أو أدبياً أو رمزياً، ربما لم أجد إليها سبيلا، مع أن الأدب لايخلو من الإشارة إلى الحمار أو الإشادة به، ولكن هذا يحتاج الى بحث وتنقيب دائبين، لمن يريد الوقوف على مثل هذه الموضوعات، ولكن ما توصلت اليه أظنه كافياً للدلالة على ما للحمار من أهمية، تصل لحد أن يتكلم بلسانه أديب كبير كالحكيم.

## سيارة ماركة "حمـار"

لم يبق اسم في عالم السيارات إلا واستحدث، لدرجة أننا لم نستطع أن نميز هذه من تلك إلا بعد أن نمعن بصرنا في قراءة ما كتب على مؤخرتها من عبارات إلا سيارة ماركة الحمار.

فلو تم تصنيع مثل هذه السيارة، فأنا أضمن أنهما سوف يتلقفها كل مشتري السيارات دون تردد، ولكن على شرط أن تكون هذه السيارة بأسعار أكثر من مغرية، ولاتحتاج الى بنزين، ولازيوت ولا حتى لما يعرف "السيفون" ولاتسخن في الصيف، وتشتغل بسرعة في فصل الشتاء، وتحمل كل العائلة، وفيها مافيها من كماليات تحتاجها الأسرة ابتداء من أم العيال وانتهاء بالشيطان الأصغر ومرورا بالشيطان الأوسط، وانتهاء بالشيطان الأكبر، أعاذنا الله من كل الشياطين الحقيقيين، وأنا أتندر وأسمي العيال كذلك كناية عن الشقاوة الطفولية، وليس الشيطنة الحقيقية.

نعم هذا النوع من السيارات غير متوافر إلا في عموم الحمير، التي كانت في السابق، تصلح لكل الاستعمالات، وتخدم كل الأطراف، فكانت سيدة البيت تستخدمها، وكذا الأب، وجميع الأولاد صغاراً وكباراً، وكانت هذه السيارة لاتحتاج إلى كبير عناء، بل كان فيها أيضاً فئات حسب المقامات.

## "شاورما الحمار"

هناك شاورما الدجاج وشاورما اللحم وحتى شاورما البط وشاورما النعام، كما أن طريقة إعداد الشاورما تمر بمراحل من التطور، فمن الطريقة العادية المألوفة والمعروفة بسيخ الشاورما، الذي يصغر ويكبر وفقاً لموقع المطعم وعدد رواده، لدرجة أن بعض المطاعم تحمل هذا السيخ في أول النهار بما يعرف برافعة "الونش" وهذه ليست مبالغة، فقط رأيت شخصياً شيئاً من هذا في بعض الأقطار العربية التي تعتمد على الشاورما في مآكلها.

كل هذا لابأس به، مع أن الشاورما هناك من لايحبذها، لافتقارها إلى النظافة الكاملة، ووجودها مكشوفة في الشارع، عرضة لغبار الطريق، وللتلوث، علاوة على أنها ربما لاتنضج من الجهة التي لاتمسها النار إلا قليلاً، هذا بالإضافة إلى أن الجزء الداخلي من اللحم يبقى فترة طويلة تصل إلى الاثنتي عشرة ساعة خارج الثلاجة، مما يجعلها عرضة للتعفن قبل أن تصل إلى يد المستهلك.

كل هذا مقبول ربما أمام الجوع الكافر ولكن شاورما الحمار، من أين أتت؟ لقد سمعت شيئاً من ذلك حدث في بعض الأقطار العربية، والحمد لله لم نسمع به لدينا، وهذا من فضل الله، والبقية الباقية من التدين، والخوف من الله. نعم شاورما الحمار، وإني أتساءل فقط إذا كانت شاورما اللحم والدجاج يحملها

ونش في الصباح، فمن سيحمل شاورما الحمار، ومامصير الذين أكلوا منه، هل لايزالون على قيد الحياة؟ وهل تطبعوا بطبع الحمار الطيب، وما موقفهم من التطبيع مع أبناء العم في تل أبيب؟؟.

## الحمار عبر الكرة الأرضية

طبعا الحمار ليس أقل من بقية الحيوانات فتراة يتصدر أحيانا الثروة الحيوانية في بعض البلدان، وهاهي احصاءات موثقة جاءت ضمن صفحات موسوعة المعلومات الصادرة لعام١٩٩٨/١٩٩٨م حيث ذكرت أن جمهورية هندوراس التي تقع في أمريكا الوسطى يوجد حوالي ٢٤١ ألفاً من الحمير. بينما يوجد في جمهورية هايتي في الثلث الغربية من جزيرة هسبانولا في البحر الكاريبي، ( اسم الجزيرة أطلقه عليها كرستوفر كولمبوس)، وتبعد عن كوبا ٨٠ كيلو متراً شرقاً بها حوالي ٢١٠ آلاف رأس من الحمير. أما نيكاراجوا وهي أحدى الدول التي يتكون منها مضيق أمريكا الوسطى، فيوجد ٨٠٠٠ حمار . أما نيجيريا الاتحادية وتقع في غرب إفريقيا الادنى فيوجد بها ١٠٠٠ حمار. أما جمهورية النايجر وتقع في شمال غرب إفريقيا فيوجد بها ٤٦٢ ألف حمار. بينما ناميبا وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة إفريقيا فيوجد بها ٧٠ ألف رأس من الحمير. ويوجد في موزمبيق

وتقع على الساحل الجنوبي الشرقي لقارة إفريقيا ٢٠ ألف حمار. أما موريتانيا وتقع في غرب إفريقيا فيوجد بها ١٥٥ ألف حمار. وفي المكسيك وتقع في الجزء الجنوبي من أمريكا الشمالية فيوجد بها ٣١٩٠ ألف حمار. أما في المغرب فيوجد حوالي ٩٤٦ ألف رأس من الحمير. في مصر يوجد حوالي١٥٥٠ ألف رأس من الحمير. في جمهورية مالي التي تقع غرب إفريقيا فيوجد ٦١٠ آلاف حمار. في مملكة ليسوتو التي تقع في أقصى القارة الإفريقية يوجد ١٦٢ ألف حمار. أما في لبنان فيوجد٢٣ ألف حمار. في كولومبيا وتقع في الشمال الغربي من أمريكا الجنوبية فيوجد فيها ٧١٠ آلاف حمار. في كوريا الشمالية، يوجد ٣٠٠٠ رأس من الحمير فقط. في جمهورية كرواتيا التي تقع على الشاطىء الشرقي لبحر الإدرياتيكي، يوجد ١٢ ألف حمار. بينما في كازاخستان فيوجد ٤٥ ألف حمار. في جزر القمر الواقعة في الطرف الشمالي من قناة موزمبيق فيوجد ٥ آلاف حمار. أما في فنزويلا وتقع في شمال أمريكا الجنوبية فيوجد بها ٤٤٠ ألف حمار. في فرنسا فيوجد ٢٥ ألف حمار. أما في غرينادا وتقع في جزيرة غرينادا في جنوبي جزر الهند الغربية في البحر الكاريبي فيوجد ألف حمار فقط. في جمهورية غانا التي تقع على الشاطىء الغربي من القارة الإفريقية فيوجد ١٣ ألف حمار. في غامبيا التي تقع في غرب إفريقيا على المحيط الاطلسي فيوجد٣٠ ألف

حمار. أما في سلطنة عمان فيوجد ٢٦ ألف حمار. وفي العراق يوجد ٣٦٠ ألف حمار. في طاجيكستان، في الجنوب الشرقي من آسيا الوسطى، فيوجد حوالي ٣٦ ألف حمار. في الصين الشعبية فيوجد عدد كبير من الحمير يصل إلى ١٠٩٨٣ ألف رأس. أما في الصومال فيوجد ٢٠ألف حمار. في سوريا يوجد ١٦٠ ألف حمار. وفي مملكة سوازيلاند التي تقع في جنوب إفريقيا فيوجد ١٢ ألف حمار. في السنغال التي تقع على الساحل الغربي لإفريقيا فيوجد ٣٦٤ ألف رأس من الحمير. وفي سلوفينا التي تقع في جنوب شرق أوروبا فيوجد حوالي ٩ آلاف حمار. أما بلادي العزيزة المملكة العربية السعودية فيوجد بها على ذمة الموسوعة حوالي ١٠٠ ألف حمار أما في جمهورية سانفانست وجرينادين التي تقع ضمن مجموعة جزر ويند ورذ والتي تبعد حوالي ١٦٠ كيلو مترا غرب بربادوس وإلى الغرب من الأنديز فيوجد بها ألف حمار. أما في زيمبابوي فيوجد حوالي ١٠٣ آلاف رأس من الحمير. أما روسيا البيضاء ففيها ٨ آلاف رأس من الحمير. أما جزر الرأس الأخضر وتقع في المحيط الأطلسي، على بعد ٥٠٠كلم الى الغرب من العاصمة السنغالية داكار فيوجد بها ١١ ألف رأس من الحمير. أما جمهورية الدومينكان وتقع في الجزء الشرقي من جزيرة إسبانولا الواقعة بين كوبا وبورتوريكو في البحر الكاريبي، فيوجد بها ١٤٥ ألف حمار. في جمهورية جيبوتي فيوجد بها

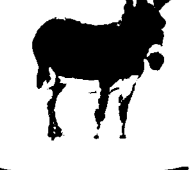
٨ آلاف حمار. في جمهورية جنوب إفريقيا التي تقع في الطرف الجنوبي من القارة الإفريقية، فيوجد بها ٢١٠ آلاف حمار. في الجزائر فيوجد ٣٤٠ ألف حمار. في جامايكا، في البحر الكاريبي يوجد٢٣ ألف حمار. في جمهورية توجو في غرب إفريقيا، فيوجد ٣ آلاف حمار. في تنزانيا التي تقع في شرق إفريقيا فيوجد ١٧٧ ألف حمار. في جمهورية تشاد يوجد ٢٧١ ألف حمار. في تركيا يوجد ٨٤١ ألف حمار. وفي تركمانستان يود ٢٦ ألف حمار. في البيرو التي تقع على الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية يوجد ٥٢٠ ألف حمار. في بوليفيا التي تقع في وسط أمريكا الجنوبية فيوجد ٦٣١ ألف رأس من الحمير. في بوكينا فاسو التي تعرف في السابق بفولتا العاليا وتقع في غرب إفريقيا فيوجد ٤٣٦ ألف حمار. في مملكة بوتان التي تقع في جبال الهملايا فيوجد ١٨ ألف حمار. في بنين الشعبية فيوجد فقط ألف من الحمير. أما في بلغاريا فيوجد ٣٠٣ آلاف من الحمير. في البرتغال ١٧٠ ألف حمار. وفي البرازيل يوجد ١٣٢٢ ألفاً من الحمير.( مليون وثلث). في جمهورية بتسوانا يوجد ١٥٣ ألف حمار. أما الباكستان فيوجد بها عدد كبير حوالي ٣٧٧٥ ألف رأس (أقل من أربعة ملايين) . في غينيا الجديدة وتقع شمال أستراليا يوجد ٩٠ ألف حمار. في إيطاليا ٣٠ ألف حمار. في إيران أقل من مليونين حمار. في أوغندة ١٧ ألف حمار. في كومنولث البهاما التي تقع على

الساحل الشرقي من ولاية فلوريدا حتى شمال كوبا يوجد ٦ آلاف حمار. أما جمهورية البانيا على الساحل الجنوبي الشرقي لبحر الادرياتيكي فيوجد ٥٣ ألف حمار. أما في الأكوادور وتقع على الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية فيوجد بها ٢٦٣ ألف رأس من الحمير. أما في أفغانستان فيوجد بها ١١٨٠ ألف رأس من الحمير (أكثر من مليون). في أسبانيا ٩٠ ألف حمار. في أرمينيا وتقع جنوب غرب آسيا فيوجد بها ٤ آلاف حمار. في الأردن ١٩ ألف حمار. في اذربيجان التي تقع في منطقة القوغاز على الساحل الغربي لبحر قزوين فيوجد بها ٦ آلاف حمار. أما في أثيوبيا ففيها حوالي ٥٢٠٠ ألف حمار.

والجدير بالذكر فإن الإحصاءات السابقة هي للعام الميلادي ١٩٩٣، ويمكن للمتتبع أن يلاحظ أن عدد الحمير يقل كثيرا في بعض الدول بشكل ملحوظ بينما يزيد في دول أخرى حيث يكون العدد بالملايين، وهذا ربما مرتبط بالحالة المعيشية في هذا البلد أو ذاك، عدا عن عدد السكان.

### قصة الغلاف

قصة الغلاف قصة "عويصة" إذ لم أحصل على صورة للحمار المسكين في أي مكان، حتى في الموسوعات العلمية، التي تركز في الغالب على الحيوانات المفترسة



والحيوانات التي تتواجد معظمها في أوروبا، على اعتبار أن جُل هذه الموسوعات ذات مصدر أوروبي، وعليه فقد تعذر علي الحصول على صورة جيدة للحمار، أقوم بلصقها على غلاف الكتاب، من أجل الدليل على أن من نكتب عنه حماراً، وهذه صورته. أقول وبعد أن أعياني البحث فإذا حرمنا المصون تحضر لي صورة الحمار من السوق، يمكن أن نحصل منها على صورة حمار بواسطة "الفوتوشوب" الذي تعلمته من أجل أن يكون لي رأي في غلاف كتابي هذا وكتب أخرى إن شاء الله. نعم وصلت صورة الحمار ولكنه كان عاطلاً عن العمل، ففضلت عليه حماراً عاملاً، يجر عربة، وإن كان فلكلورياً فحسب، ركبنا عليه، أنا وابني الصغير، وكأننا نعيش أيام الستينيات. ربما ليثبت أنه لايزال يعمل، وكأنه يقول لاتنسوني، فمن يعرف ربما تحتاجوني بعد أن ينفد البترول لاسمح الله.

## حريم أم حمير!

طبعاً هناك من يحلو له أن يتندر فيخلط بين المسميين في حركة مقصود منها الاستهانة بنصفنا الآخر، ويكون في الغالب إما من أجل التندر كما أسلفت أو من أجل التقليل من شأن هذا النصف الذي نفخر به، أو من أجل التدليل على أن هذا النصف هو الوحيد الذي خُلق من ضلع أعوج في هذه الحياة. وأقول إذا كان

هذا النصف خُلق من ضلع أعوج، فلابد أن يشاركه أشياء أُخرى هي أيضا خُلقت من ضلع أعوج فهل كل ماهو في الحياة مستقيم تماماً ! .

لايستطيع أحد أن يجزم بأن كل شيء مستقيم في هذه الدنيا فهناك أشياء جيدة وأشياء ليست كما ينبغي، ويتجلى ذلك في عموم البشر ذكوراً وإناثاً، فكم من رجل أموره العقلية والعاطفية والنفسية ليست على مستوى يجعله عضواً عاملاً في هذه الحياة، فيعتبر من هذه الناحية أعوج، كما أن الكثير من السيدات من هن على مستوى عال من التفكير المنطقي المقبول، مما يؤهلها ربما لقيادة أمه بكاملها، مع الفوارق بالطبع، وهذه أمور في مجملها نسبية.

## الحمار في الشعر

لقد ورد اسم الحمار حتى في الشعر فقد تناوله بعض الشعراء وهذه قصيدة مع الأسف لم أتبين قائلها ولكنها جميلة وباللغة العربية الفصحى التي تطرب لقراءتها أقتطفتها من كتاب هو في الأصل مختص بتعليم قواعد اللغة العربية، وقد وردت هذه القصيدة في أحد التمارين اللغوية بعد مبحث في الإعراب المحلي، حيث تقع كلمة "ذا"، وأبيات الشعر هذه من بحر الشعر الكامل، وهي كالتالي:

سقط الحمار من السفينة في الدجى . .        فبكى الرفاق لفقده وترحموا . .

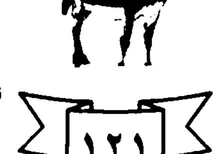


حتى إذا طلع الصباح أتت بـــــه . .          نحو السفينة موجة تتقدم . .
قالت خذوه كما أتاني سالماً . .          لـم أبتلعه لأنـــه لايهضم . .

وهذا يوضح أن حمارنا لم يبقي أي شيء إلا وأدخل أنفه فيه حتى الشعر العربي الفصيح، فهل بقي من شك في أهمية الحمار. صحيح أن الشعرلم يعقه، وجاء في صيغة هجاء بدلاً من صيغة المدح، ولكن لاننسى أن الرفاق، وهم من البشر، تأثروا من ما ألم بالحمار وترحموا عليه بعد أن سقط من السفينة، وربما هذه قصة رمزية.

## حمار الشغل

كنت قد تحدثت فيما سبق عن الطيارة التي سميت مجازاً حمار العمل الجاسوسي، أو هكذا، غير أنني الآن سوف أتحدث عن عبارة: "حمار شغل"، أو "فلان حمار شغل"، أو عندما يقولون: "فلان نشيط وبعد حمار شغل". ومع أنني كررت بعض العبارات مع بعض الإضافات عليها إلا أنني لاأعتبر هذا تكرار، بقدر ما أعتبره توكيد للمعنى أو إيصاله إلى القارىء الكريم، حيث أن هذا الأسلوب متبع لدينا من وقت لآخر وهذه اللفظة تتكرر على أسماعنا بين فترة وفترة، فلماذا لاناتي بها لمعرفة معناها، ليس في هذا مايضير، مادام الهدف



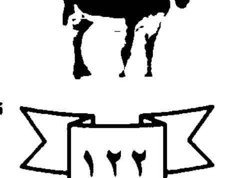

هو تلمس ماتنم عنه هذه اللهجة، التي تعتبر رديفة للغة الأم اللغة العربية الفصحى وفلان "حمار شغل" إذا كان يعتبر من وجة نظر اجتماعية لا يكف عن العمل ولايتوقف عنه.

وهي تقال لحالة من "الغبطة" أو التضجر من هذا الشخص خاصة إذا كان رئيسا لأحد الأقسام عندها يحلو لمرؤسية أن يحسدونه على ما أعطاه الله من نشاط.

ففي معظم الحالات ما يتقاعس صغار الموظفين، لأن مسؤولياتهم محدودة، بينما يثابر من هم أرفع منهم في السلم الوظيفي، خاصة إذا ما كان معيناً حديثاً من أجل أن يبرز ويتبوأ مكانة عالية، تستحق تبثته في هذا المنصب.

وقد ركز على الحمار في هذا النعت من منطلق أن الحمار يعمل ولايكل ولايمل، كما أنه لايشتكي مطلقاً، إذ ليس له لسان ينطق به.

ولكن البشر عندما يشعرون بنوع من الظلم يتذمرون، على مستوى الوظائف أو على مستوى آخر. أي أن هذه اللفظة تصدق على المسكين الحمار، ولاتصدق على عموم الناس، لاختلاف الاثنين في موضوع الشكوى والتذمر، من جهة، وعلى أساس أن البشر يستطيعون الاعتراض والشكوى، بخلاف الحمار المغلوب على أمره.



**التكرار يعلم الحمار..**

هذه عبارة نرددها ربما في المدارس أكثر من أي مكان آخر، وهي تحمل في طياتها هجاء للحمار أيضا، وهجاء لمن تشبه بالحمار في مثل هذا العمل، أو هذا التصرف، فعندما يكرر الأستاذ المسكين العبارات تلو العبارات لموضوع واحد، ويثابر في شرح الدرس بكل ما أوتي من قوة لتلاميذه من مختلف المستويات في الذكاء، فإنه يصاب بالاحباط بعد أن يلمس أن مستوى الاستيعاب ليس بالشكل المطلوب.

فتراه يبادر الى إطلاق الأمثلة تلو الأمثلة للتدليل على أن جهوده قد راحت أدراج الرياح، ومن ضمن هذه الأمثلة تلك التي تتعرض لصاحبنا الحمار المسكين الذي ليس له ناقة ولا جمل، ولم يدخل مدرسة قط إلا من خلال وسائل الإيضاح. وأقرب هذه الأمثلة إلى ذهن الأستاذ هي بالطبع "التكرار يعلم الحمار" ، وربما لاينطق بكلمة الحمار، حتى لايكون عرضة للمساءلة من قبل التلاميذ الذين لم يعودوا مثل الأمس في إحترام أستاذهم، وتركه يقول مايقول، فحتى لو كانوا مقصرين في استيعاب المادة فإن لهم الحق في الاعتراض على الكلمات التي يتلفظ بها أستاذهم حتى في حال الغضب، وتمكن الإحباط منه من جراء عدم فهمهم مايردده عليهم من موضوعات لا يستوعبونها .

إذا التكرار يعلم الحمار، هذه العبارة يجري تغييرها وتلطيفها للأسباب التي شرحناها بعبارة: " التكرار يعلم الشطار.."

## زوجة غاضبة

رب قائل يقول مادخل الزوجة الغاضبة بموضوع الحمار، لم تترك موضوعاً إلا وأقحمت فيه الحمار من أجل أن تكبر مؤلفك هذا؛ ولكني أقول وبكل ثقة، ألم تسمعوا عن الزوجة التي تقول لزوجها في صيغة سؤال، وأرجو الانتباه إنها صيغة استنكارية استفهامية تعجبية وليست تحقيقية، أو سمها ماشئت، بمعنى أن الزوجة تقول: " أنا حمارة..!" أي هل أنا حمارة؟ هذا طبعاً ليس في حالة السلم مع الزوج بل في حالة المعارك الطاحنة، وإذا طفح بها الكيل أيضاً من زوجها الذي ربما يمعن في طلباته منها، دون أن يحضر لها خدامة، أو على الأقل يضيق عليها الخناق، فلا يتركها تذهب عند الجيران والخلان حيث الشفاء من جميع الأحزان، كنوع من المكافأة بعد أن تؤدي جميع المهام المنزلية، فبعض الأزواج ربما يتحسس من الجيران ولايحب زوجته تذهب باستمرار، ويتساءل هل بقي في هذا الزمان خلان، ولايعتبر امتناعه عن التزاور مع الجيران نوع من الحرمان، حتى ولو كان زعلان ومن حياته "طفشان" .

## الأتــان

الأتان هو أنثى الحمار، وحتى لاتزعل إنثى الحمار فلابد أن نتطرق إليـها، بصفتها زوجة الحمار التي تأخذ خاطرة وتوسع صدره عندما يضيـق ذرعـاً بتصرفات الفلاح أحياناً، وبعد أن يكد ويكدح دون أن يتقدم اليه أحد بالشكر، أو يقدم إليه أية مكافأة إلا في النادر، إلا إذا ما رزق بإنسان يقدر مايقوم به من عمل فجاد عليه بكمية كبيرة من العلف، وتركه يقيم في مكان نظيف.

هذا ليس مجرد كلام في الهواء، فقد ثبت أن الحيوان يحس، ويشعر بكل ما نشعر به، وقد قيل أنه يبكي إذا أحس بالقهر الواقع عليه.

والحمار كحيوان يشارك جميع الحيوانات فيما يحسون به، لذلك تراه يصيح أحياناً، ويمكن لصاحب الحمار القريب إليه أن يعرف وبكل بساطة مايشعر به.

فقد ورد في موضوع تقليم أظافر الحمار أنه يؤخذ بين وقت وآخر لتقليـم أظافره عند النجار، وقد قيل أيضاً، أنه يرفع رجله أحيانا إذا ما أحس بالألم، ويقوم صاحبه أحياناً بعملية شد الأزر له، وأحيانا يقوم بتثبيت رجله في الأرض عندما يرفعها بعد الشعور بالألم.

إذاً يكفي أن يشارك الحمار الانسان في الشعور بالألم. .

وهذا يسهم بشكل أو بآخر في تغيير الصورة المرسومة عنه، أو عن لقبه. .

## "مرتديلا " الحمار

كنت أحاول أن أصدق حكاية "شاورما" الحمار، فإذا بي أسمع عن "مرتديلا" الحمار، فهذه الحكاية من البداية.

قيل والعهدة على الراوي أن قوما ضعاف النفوس، لايهمهم سوى الفلوس، استغلوا سذاجة الناس، وثقتهم، والخلخلة الصحية في تلك المدينة، فقاموا بصناعة "مرتديلا" الحمار، ربما في مصنع ناء، عن عيون البشر يقع بقرب القمر، فأكلها الناس، بدون إحساس، خاصة "الغلابا" ، ولكن من المؤكد أنهم لم يكتشفوا ذلك؛ إلا بعد أن أصبح معظمهم هالك.

بعدها كرهت "المرتديلا"، ولا أطيق النظر إليها، حتى ولو كانت مجلوبة من هولندا أو من بولندا، لأن العين هي التي تأكل قبل الفم، بالإضافة إلى أن عموم "المرتديلا"، ولو كانت نظيفة، وظريفة، فهي مؤلفة من بقايا اللحوم بما فيها الحواشي، والزوائد، والمصران، وما إليها وما عليها، ونحن نأكلها، ولاندري مابداخلها، بل نشعر بلذتها، لماذا ؟

لأنها وببساطة مدعمة بالبهارات، والمنكهات.

أخي القارى، لطفا، إقرأ العبارات.. المكتوبة، على أغلفة المعلبات، لتعرف مابداخلها، قبل أن تأكلها..

## حوار مع القراء..

بعد أن أوشك المؤلف على الانتهاء، تعالوا أعزائي القراء، نتحاور ولو من طرف واحد، فسوف أعتبر أنكم أمامي موجودين، وقرأتم هذا الكتاب، وأنا سوف أدخل معكم في سؤال وجواب، من أجل الفائدة ليس إلا، لي ولكم، فالقلوب عند بعضها، ومن منا لايريد أن يفيد ويستفيد، صحيح أن الحوار من بعيد، ولكن لايهم، لكل منا أن يتخيل ماسوف يقال، ولو لم يكن على صيغة سؤال، ويمكنه الإجابة، بصدر كله رحابة.

والآن أتوقع أعزائي القراء أن تقولوا، هذه العبارة: ماوجد إلا الحمار يكتب عنه، عنده الأسد وعنده الفهد، وعنده الذئاب، وعنده الكلاب، وعنده الصقور، وعنده الطيور، وهكذا الى آخر القائمة، وعندها تزيد علي اللائمة، من أنني لم أجد سوى الحمار، قابع في الدار حتى أكتب عنه، ألأنه ذكي؟ لا فهو المعروف بالغباء، ألأنه قوي؟ لا، فهناك من هو الأقوى، كالجمل بما حمل، أم لأنه سعيد؟ لا فهناك من هو أسعد كالقرد الأمرد، إلى آخر القائمة، وعندها تزيد علي اللائمة..

أقول بعد الصلاة على الرسول، صلى الله عليه وسلم، عندي لكم جواباً، وبدون عتاباً، لقد أخترت الحمار، من منطلقات عديدة أولها أنه مظلوم، يعمل إلى

أجل غير معلوم، ليس له تقاعد، ولا مستقبل واعد، صاحبه دائماً يعنفه، ويضربه ويرفسه، وهو لايرد ولايصد عن كرامته، مطأطاً هامته، يبكي دون دموع، عبرته بين الضلوع، وبعد الكد طول اليوم، وطول فترة الصوم، يجود عليه صاحبه، ببضع لقيمات وهو يؤنبه، لاتأكل كثيراً حتى تستطيع العمل غداً صباحاً قبل أن يبدأ الديك صياحاً.

كل ذلك والحمار لايتكلم ولا يقول، وعمركم يطول، ماذا أنجز من عمل بلا ملل، في غابر الزمان، لمساعدة الإنسان، دون أن يحصل على جمائلة بأي عرفان، قام الحمار بالسقاية، وهي جلب الماء، من مصادره، ومن مغاوره، وحمل الأحمال، وساعد في الأعمال، في البناء والتجارة، والزراعة، والحصاد، وأسهم في تقدم البلاد، والعباد.

ألا يستحق منا أن نحترمه إن لم يكن لشكله، فلعمله!

ما رأيكم دام فضلكم أعزائي القراء؟

بقيت نقطة، وهي إذا نزلنا على الرأي السائد، من أن لفظة الحمار تنم عن الغباء، فكيف به أن يحمل الطفل الصغير الى بيت أهله ماراً بالحواري والشوارع، دون أن يتوه، أو يسأل المارة، ماهذه الحارة؟.

ثم رب من يتعجب لماذا تنعت من لايقوم بعمله بالحمار في ثنايا كتابك؟

فأقول، جرياً على الأعراف المتبعة لدى الناس لابد من أن نعتبر الحمار غبياً، لأنهم لم يطلقوا هذه الصفة سوى عليه، من رأسه حتى قدميه، فما الذي أستطيع عمله؟ إذا ما اعتبرته - مجازاً- غبياً وشقياً، فليس من المعقول أن أدلل على ما أقول، دون أن أنعته بالغباء، من الصباح حتى المساء.

أظنه يريد أن يضع له محامياً، لامعاً، عنه يدافع، في محاكم الجمهور، الذي كله غرور، لايقيم للحمار أي اعتباراً، مهما سمع عنه من أخبار، ومهما جلب من مياه الأنهار، ومهما لف لدرس المحصول ودار، ومهما، سالت دموعه مدراراً، ومهما أهانه الكبار والصغار..

وبعد ذلك لايريد منا سوى مجرد اعتذار..

## حمارتي

أحدهم يطيب له أن ينادي زوجته "حمارتي" هذا من قبيل التدليل غير المقصود منه الإهانة، فهي مبسوطة بهذا اللقب، خاصة إذا كانت الفترة التي ناداها فيها تسمح بذلك، كما نقول فترة يمكن أن نسميها الفترة "الانشكاحية" لاأدري بأية لغة عامية، المهم هذه الفترة "الانشكاحية" يمكن اعتبارها فترة خطيرة وحرجة أي انعاشية، فيها من التجلي الشيء الكثير وليس القليل، لماذا لأنها تكون فيها المياه

سانحة، وليست جانحة، وهذه أعرفها، فقد قيل أن العرب في الجزيرة العربية، قبل مجيء هذا الدين العظيم وهو الإسلام الحنيف، تسترشد بالطيور، فإذا أرادت السفر إلى أية وجهة، تراها تعمد إلى إطلاق طير لديهم، ليس طيراً خاصاً ولكن أي طير، إذ لم يرد اسمه في الأثر، فإذا ما ذهب الطير يميناً سافروا وشدوا رحالهم إلى الوجهة التي يقصدونها، دون أي خوف أو وجل، لأن الأمور ستكون مريحة، أما إذا ذهب الطير شمالاً تشاءموا أجلوا السفر مهما كانت أهميته. وهذا مايعرف بالتطير، حسب علمي.

أظن أنني خرجت على الموضوع، ولكن لايهم حصلنا على معلومة، استفدنا من ذكرها، خاصة وأن اللغة تقدم لبعضها ببعضها، وهو ما يقال عنه تداعي المعاني.

أعود للسوانح والجوانح فأقول بعد الصلاة على الرسول، إذا ما كانت الأمور تسير من حسن إلى أحسن فحدث ولاحرج، حتى ولو رميت زوجتك من الدرج، فإنها سوف تقوم وكلها شوق إلى أن ترميها مرة من فوق. أما إذا كانت متعكرة، فإنها سوف تكسر "المنظرة" والمقصود بها المرآة، بلهجة الخليج، وسوف تريك من فنون أبليس، كل ماهو كريه وتعيس.

إذاً لاتناديها حمارتي إلا بعد أن تكون ناديتها لؤلؤتي، ودانتي، وسلوتي، وعمتي، وخالتي، وزميلتي، وحبيبتي، وصديقتي.

لكن انتبه أن تناديها جدتي، عندها ستدور عليك الدوائر، ويكون حظك يومها عاثرا، ولـن تسـتطيع أن تصلح الأمـور، وماأحدثتـه مـن كسـور، مـهما حـاولت، وبالغت..

ثم عليك بالدراهم، فهي كالمراهم، تداوي العليل، وتشفي السـقيم، وتبعـث الأمل، وتطرد الملل، وتروي العطشــان، وتســاعد الغلبـان، ويزيـد معـها في القلـب الخفقان، خاصة إذا كانت من مكسب حلال..زلال..

## حمار في الأخبار..

رأيت اليوم حمارا في نشرة الأخبار، يجر خلفه عربة من الخشب، هــي الـتي نسميها في الخليج "القاري"، وقد ورد ذكرها فيما سبق، غير أن الجديد هنا هو أن هذا الحمار كان ولايزال يسهم في إخلاء ماتبقى من لوازم إخواننا الفلسطينيين، بعد أن هجم عليهم العدو الغاشم إسرائيل، ودمر منازلهم، طبعا بحجة أن أصحـاب هذا المخيم من المقاومين ضد الاحتلال الإسرائيلي لبلادهم، وموضوعات أخرى من ضمنها، الإدعاء بتهريب الأسلحة من أنفاق عبر مدينة رفح. أنا أنظر من زاوية أن الحمار لم يقصر في السلم ولافي الحـرب، وكـان لـه دور كبـير، في رفـع معانـاة هـذا الشعب، ويمكن اعتباره شاهدا على فصول اللعبة العسكرية والسياسية في الأرض

المحتلة، حتى بعد أن تهدأ المعارك، ويبدأ إخلاء الجرحى، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أثاث البيوت.

وهذه مندوحة للحمار، فحتى الأخبار تراه يتصدرها، وفي أحلك المواقف، تراه يشارك، دون خوف أو وجل، مسرعاً إلى العمل، دون تردد أو كلل، يعمل وهو صامت، وفمه ساكت..

## الصين والحمير

ماذا أعمل، لقد كنت على وشك أن أقفل موضوع الحمار، بعد أن انتهيت حتى من الغلاف، ولم يتبق سوى الطباعة الأخيرة، فإذا بي أقرأ في صحيفة النخبة، التي اشتريتها للتو، عنواناً بالبنط العريض يقول كاتبه: الصين تطلب مليون حمار مصري!.

في الحقيقة لقد سررت بهذا العنوان، كنوع من تعزيز وإثراء هذا المؤلف، خاصة، وهو في مراحلة الأخيرة، للتدليل أن هناك من لايزال يكتب عن الحمار، ويشاركني بعض من آرائي فيه. كما أن هناك عنواناً فرعياً تحت العنوان السابق، وبالخط العريض أيضا يقول: عضو الجمعية يكون أكثر سعادة بإطلاق لقب "حمار كبير" عليه. وعنواناً ثالثاً يقول: حمار الحكيم "في قائمة المشاهير"! وعنواناً رابعاً يقول: مصر والسودان والمكسيك تحتكر حمير العالم.

والآن إلى ماكتب بالتمام والكمال عن الحمار في هذه الصحيفة، بعددها الخامس والعشـرون الصفحـة رقـم ١٥ بتـاريخ ١٩ شـوال ١٤٢٤ -١٣ديسـمبر ٢٠٠٣م. وسوف اقتطف منه بعض المعلومات الهامة.

كتب عاطف محمد أن سوق الحمير في مصر بالرغم من انها سوق غير سرية فإن حجم التعامل فيها لم يخضع يوماً لأية حسابات ولكن الخطير في الأمر أن "ثروة" هائلة يتم تداولها في هذا السوق وتقدر بنحو مليار جنيه مصري. . والتعامل في أسواق بيع وشراء الحمير له قواعد وأصول كما أن سماسرته لايقلون كفاءة عن سماسرة بورصة الأوراق المالية ورغم أن الحمار المصري كان منذ أعوام مهددا بالإنقراض حيث أن أحد أعضاء مجلس الشعب منذ سنوات كان قد اقترح اعدام الحمير وتقديمها للأسود والنمور في حديقة الحيوانات توفيرا للفول البلدي الذي تأكله الحمير والبرسيم، ويردف الكاتب قائلاً: "إلا أن هذا الاقتراح والحمد لله لم يتم تنفيذه حتى الآن؟ ! !"

ثم يضيف فيقول حصل الحمار المصري منذ فترة على لقب أطيب حيوان مسالم في المعرض الذي اقيم في باريس.

ثم يذكر أن الحمار المصري يتميز بالقدرة على التحمل والصبر وهو لايمتاز بالغباء كما ينوه البعض دائما اذا قلت لشخص ما "أنت حمار" . . ! !

ثم يردف ويقول: فإنه عكس عضو "جمعية الحمير المصري" الذي ينبسط جداً عندما تقول له أنت حمار كبير؟ ! !

يردف فيقول: الجمعية لها كثير من الأعضاء المشهورين في الأدب والفن من ممثلين وممثلات ومن أشهرهم الممثلة... والجمعية تمنح لقب"حدوة الحمار" ولقب "حامل الحدوة" ولقب "حامل اللجام" و لقب "حمار كبير" وغيرها من الألقاب التي تمنح تدريجيا للمنضمين للجمعية حسب الأقدمية؟ ! !

وبرغم انه في فترة من الفترات كان هناك قرار بإعدام الحمير في مصر تلبية لما نادى به البعض حتى نستطيع توفير الأراضي التي يزرع بها برسيم لتحل محلها أنواع أخرى كالقمح فإن القرار لم ينفذ لأن هناك فئات لا تستطيع أن تستغني عن الحمير. . ! !

سوق الحمير في مصر، مثل كل الأسواق به المساومات والغش والتدليس والسمسرة والمعارك الكلامية والتشابك باللسان والأيدي أحيانا . . ! !

ففي سوق "بشتيل" بأمبابة كانت هناك حركة من المساومات تدور هنا وهناك وبعض المشاجرات وأعداد كبيرة من الرجال والصبية وبعض النساء وكثير من الحمير والبغال ! ! . وكانت أعداد الحمير في هذا السوق تقترب من الألف حمار أما البغال فكانت أعدادها قليلة.

ويستطرد كاتب المقال فيقول، والبغال عزيزي القارىء لمعلوماتك تولد من الحمير عبر اتصالها بأحد الخيول فالبغال لاتلد وتكون عقيماً وتحمل صفات الحمير والخيول.. ! !

وتملك صفات القوة ! ! والتحمل ويضرب بها المثل في القوة ! ! والحمير أنواع عديدة وأشهر أنواعها الحصاوي والبلدي والشامي..

و يقول غريب حسين محمد، من الهرم، أن هناك أنواع حسب السن "جحش" وهو صغير السن، و"الكديش" يعني الحمار عجوز وكبير في السن، والحصان الحصاوي للركوب زي حمار العمدة، في المسلسلات والأفلام القديمة ! !

وهناك حمير السباخ وهي منتشرة في جميع قرى مصر وأريافه ! !

ويكمل غريب حديثه عن استخدامات الحمير فحمار السباخ لايستطيع أن يحل محل حمار في عربات الكارو، وكذلك حمار الركوب لا تستطيع أن يحل محل حمار آخر، وكل حمار حسب علامه ! !

ونعود لسوق الحمير في "بشتيل" ونعرف خلال سؤال التجار أن السوق له أصحاب يأخذون من البائع والمشتري نقود تصل من خمسة إلى عشرة جنيهات .

وهناك عائلات تشتهر بالتجارة في الحمير من أشهرها عائلة العسال، ويمثلها في السوق عودة العسال وكمال العسال.





في السوق كان هناك بعض الناس الذين جاءوا للفرجة أو للتعرف على أسعار الحمير حتى يتم شراء حمار في السوق القادم أو بيع حمار، كما لم تكن هناك شرطة تؤمن المكان من المشاجرات التي يمكن أن تحدث في أي لحظة بين البائعين والتجار أو بين التجار بين بعضهم وبعض ؟!!

وخلال التجوال داخل السوق المزدحم سمعت صبياً يمسك بلجام أحد الحمير ويصرخ بصوت عال "السن تكتب عليه بالقلم" وعندما لم أفهم هذه العبارة الغريبة على أذني إقتربت من أحد التجار ويدعى سعيد العسال وسألته عن معنى هذه العبارة وعبارات أخرى سمعتها في سوق الحمير . . !!

تحدث سعيد العسال بأي جملة "السن تكتب عليه بالقلم" مقصود بها أن هذا الحمار قوي وجيد وسنه صغير، وكلمة "حمار سنقر" يعني "مش مضبوط على بعضه، وغير مطلوب" ، وكلمة كديش حمار كبير في السن. !!

وسألت محمد العسال وهو من تجار الحمير المشهورين عن أهم الأسواق في الجيزة والقاهرة؟ فقال أشهر الاسواق سوق " المناشي" في "كرداسة" . في الجيزة، وسوق "المرك" في "مسطرد" وسوق الأحد في "المنوات" وسوق الأربعاء "بالبدرشين"، ولكل قرية في كل يوم من أيام الأسبوع تباع فيه الحمير والبغال. وجميع أنواع المواشي.

ويكمل سعيد العسال حديثه عن أسعار الحمير فيقول بأنها تتراوح ما بين ٢٥٠ حتى ٣٠٠٠ جنيه للحمار على حسب قوته ونوعه، فحمار الجر سعره أكبر من حمار السباخ، وحمار الجر هو الذي يستخدمه بائع "السبوبة" بائعو الخضار وخلافه، أعلى أنواع الحمير في السعر حيث وصل سعر الحمار اشتراه أحد بائعي الخضار في "ساقية مكي" بسعر ٤٥٠٠ جنيه، وذلك من عدة سنوات ! !

ويقول أحد أصحاب العربات الكارو أن الحمار قد يستطيع جر حمولة تصل إلى طن ونصف إلى طنين، وإذا قام بحمل شيء على ظهره قد تصل الحمولة إلى مائتين كيلو غرام. . ! !

ويكمل كاتب المقال فيقول، أنه عندما سألته أين ينام الحمار يامعلم؟ فنظر إلي في دهشة مستنكراً السؤال من أصله، "ينام في المنزل ياأستاذ . . ! !، وهو أحسن من العيال عندي. . !، لأنه هو سبب أكل عيشي، وهو الفاتح للبيت ويصرف علينا كلنا ! !

ثم يردف فيقول، سألت الحاج قرقر عبد الحكيم صاحب سوق الحمير في "بشتيل" عن ألوان الحمير فقال هناك ألوان كثيرة للحمير منها الأبيض والبني والرمادي، والأسمر المنقط، وهناك "أسود عبد" والمقصود بها أسود بدون أي اضافات. . ! ! وهناك "البردش" وهو أخضر مع بني . . ! !

أما الحاج جابر محمد عثمان من الفيوم فيقول إن أشهر أنواع الحمير تأتي من بني مزار في المينيا، وأسنا في قنا، وجزيرة شندويل ومدينة طهطا وطما بسوهاج بالاضافة إلى مغاغة والفشن ببني سويف. وأهم أنواع الحمير الفيومي والصعيدي والبلدي، وكذلك تأتي أفضل أنواع الحمير من المنصورة والفيوم، ويتحدد أسعار الحمير حسب قوته ونوعه وسنه واستخداماته. . ! !

ويكمل كاتب المقال، وعن طعام الحمير تحدث عبد الباسط محمد خليل نادر من قرية الكوم الأحمر قائلاً: " أهم طعام الحمير هو البرسيم والتبن والذرة والشعير والفول البلدي أما أهم الأمراض التي تصيب الحمير هي البرص والبهاق وبعض الأمراض الجلدية الدمامل" .

وعن الغش والتدليس في بيع الحمير يقول عودة العسال أحد كبار تجار الحمير في مصر: "يتم وضع بلح طيب في علف الحيوان علشان الرفس والعض قبل دخوله السوق بساعة، علشان يكون هادىء وبعد ذلك يعود ثاني . . ! ! "

من أهم العيوب في الحمير دماء تتساقط من أقدامه من تأثير العمل! !

والحمار الأعور يكون "مضروباً على عينه" ويعرف بأنه يكون ذا علامات بيضاء أو زرقاء ويتم البيع غالباً عن طريق السمسار ويأخذ حوالي عشرة جنيهات من البائع ومثلها من المشتري! !

أما عن عدد الحمير في مصر فهي قد تتجاوز المليوني حمار تقريباً، برغم من أنه لا توجد احصائيات بهذا الشأن.

ومن الطرائف أيضاً حوادث السرقة التي يقوم بها بعض لصوص الحمير في القرى حيث يقومون بسرقة الحمير وتلوينها بلون مخالف حتى لا يتعرف عليها أحد وقد تكون المصادفة عندما يبيعوه في السوق ويقوم صاحبه الأصلي بشرائه ثم يفاجأ بأن هذا الحمار هو حماره الذي قد سرق منه!!.

أما أسعد الحمير حظاً فهو حمار السياحة في المناطق السياحية والأهرامات حيث يمتطيه السائحون الأجانب وفي الغالب تكون فتاة شقراء جميلة لكي تتجول ". يابخته.. جتنا نيلة في حظنا الهباب".!! أما صاحبه فيكون مرتاح البال والعملة الأجنبية لديه هي الدولار عكس صاحبنا العربجي صاحب العربة الكارو حيث الحمار يحمل ويجر حوالي اثنين طن بالاضافة لصاحبه في أشد الحال لكنه يكون مع صاحبه مع علاقة حب وعطف حيث أنه هو سبب رزقه وفاتح بيته. ويتحدث أحد أصحاب الحمير وصاحب "عربة الكارو" بأن النقل حالياً ضاق والحمار مصروفاته كثيرة وذلك بعد انتشار سيارات النصف نقل وسيارات النقل الخفيفة وكذلك بعد القرارات بعدم خروج أصحاب عربات الكارو إلى الشوارع الرئيسية، وقد نظل أياماً دون عمل ويتساءل ماهو العمل وايه الحل..؟!!

ويقول بأنه أحيانا تأتي البلدية وتأخذ الحمار ولابد من دفع غرامة قد تصل إلى ٥٠٠ جنيه وإلا سيكون مصير الحمار حديقة الحيوانات ليكون طعاماً للأسود والحيوانات المفترسة وده حرام!! مايرضيش حدا أبدا!! لأننا لانستطيع دفع الغرامة ونحن أصبحنا لا نعرف عملاً سوى هذه المهنة وهي أكل عيشنا ونصرف منها على بيوتنا..!!

كما يضيف صاحب المقال أيضا: أما عن شهرة الحمير عبر التاريخ فلها شهرة كبيرة وورد ذكرها في الكتب السماوية والقرآن الكريم ومن أشهر هذه الحمير "حمار عزيز" الذي أماته الله مائة عام هو وحماره ثم أحياهما!!

كذلك قدماء المصريين يحترمون الحمير وكانت بعض الأماكن تقدسها وكتبوا عنها في آثارهم!! ولاننسى حمار "حجا" المشهور بنوادره الطريفة!!

أما أشهر الحمير في العصر الحالي فهي حمير الكباب المشهورة!!

وكذلك الحمير التي يبيعها الجزارون عديموا الضمير على أنها لحوم بلدية كما حدث في الاسكندرية وبعض مناطق القاهرة وفي العامرية وسيدي عبد القادر!!

وهناك حمير كان لها مجال كبير في الأدب والثقافة ومن أشهرها حمار الحكيم وحمار السعدني!!

على فكرة سبق وأن تطرقت فيما سبق إلى حمار الحكيم..

أما أشهر الدول التي تنتشر فيها الحمير على مستوى العالم فهي مصر والمكسيك والسوادان وبعض الدول العربية الأخرى.

وهناك كثير من المهن مرتبطة بالحمير ومن أهمها على سبيل المثال مهنة "القصاص" أي "حلاق الحمير" وهو يقوم بحلاقة شعر الحمير وتقليم حوافرها وعلاجها من الأمراض التي تصيبها . . ! ! وهذه مهنة منتشرة في الأرياف ولها عائلات تقوم بهذه المهنة وتتوارثها عبر الأجيال.

ولا ننسى أشهر حلاق للحمير وهو"اسماعيل يس" في فيلم حلاق السيدات ! !

كما توجد هناك مهنة في سبيلها للإنقراض إلا من بعض مدن الأرياف وهي "الشفاخانة" والمقصود بها مكان إيواء الحمير في المدن حتى ينهي صاحبها مشواره وذلك نظير أجر ورسوم يسددها لصاحب هذا المكان وهو مكان يشبه الزريبة وغالبا ما يكون هذا المكان مكاناً لتلاقي العشاق من الحمير يسفر في النهاية عن انجاب "جحش" صغير يصبح في النهاية حماراً . . ! ! انتهى كلام الصحيفة.

<u>وأسمح لنفسي فأقول إن ما ورد في هذه الصحيفة المحترمة لخير دليل إلى ما ذهبت إليه أو جزء منه على الأقل من أن هذا الحيوان، يستحق منا أن نكتب عنه مادام لا يزال يتدخل في بعض من حياتنا ، حتى مع دخولنا القرن الواحد والعشرين. . ! !</u>

## هل يصح أن نسميه حماراً؟!

والآن وبعد هذا السرد هل يمكننا أن نسميه حماراً !، هذا إذا اعتبرنا جدلا بأن لفظة الحمار ليست محترمة عرفاً ولاقانوناً، بعد هذه الأعمال التي نعترف كلنا بأنه قام بها وبجداره متناهية ليس أقلها أن يسقي الزرع والضرع والبشر وبكل اقتدار. إذالم يصبح لدينا المبرر الكافي لأن نطلق عليه تلك التسمية البغيضة، التي يستنكف منها كل من يعرفون كنهها الحقيقي، فهل في هذا إزدواجيه في تفكيرنا تجاه هذا المخلوق الطيب.. نعم المخلوق الطيب.. فأية إساءة بدرت منه تجاه عموم الناس!، إذاً لم يصدر منه إلا كل خير.. خاصة في السنين العجاف قبل زحف عصر الآلة، وحتى بعد زحف الآلة، ومعرفة الإنسان للدولاب وكيفية استخدامه، نرى مايعرف لدينا باسم "القاري" لم يسلم الحمار منه، بل يتم تصنيع القاري، ويربط بالحمار وبدون أن نستشيره مطلقاً، ويعمد الحمار المسكين إلى جره سواء بطوعه واختياره أم بدون طوعه واختياره، وربما ذرف الدموع اثناء الجر، ونحن ننعم بنقل أشياءنا وممتلكاتنا على هذا القاري..

إننا إذ نسمي أي شخص بالحمار يكون لافائدة فيه البته، بل وصل به الجمود والاتكالية حداً بغيضاً، لايمكن معه السكوت عليه، فهو يأكل ولايعمل شيئاً، ولا يحقق إنجازاً، هذا هو المنظور العام، حتى يوصف الشخص بهذا الوصف، أما في

حالة الحمار فالأمر ليس كذلك فشتان مابين من وصفناه بالحمار، وبين مايقوم به الحمار الأصلي من منافع، فأيهما الحمار الحقيقي؟ وأيهما يصدق عليه هذا الاسم!. وهل هذا الاسم مدعاة للفخر، أم مدعاة للانكسار النفسي، لا أدري؟

ألم يحن الوقت حتى نعيد لهذا المخلوق اعتباره بين الحيوانات!.

إنه سؤال محير يحتاج منا الى إجابه شافية.. وربما المزيد من المؤلفات..

*وأخيرا أخي القارئ الحصيف، أرجو أن أؤكد هنا مرة أخرى أنني لم أقصد أي شخص كائن من كان بما أوردته من تكهنات وآراء، حيث كان الهدف واضحا وضوح الشمس، وهو الموعظة الحسنة، في قالب محبب للنفس، حيث أن النصيحة المباشرة ربما تكون ثقيلة على قلوب الناس بشكل عام.*

*والله من وراء القصد.*

**المـــؤلف**

**المراجع**

مما قرأت من روايات.. وما سمعت من حكايات.. مستعيناً بالحمار.. في كل حدث دار.. لأنه بطبعه مضطهد.. حياته كلها نكد.. حاولت رفع معنوياته.. من أجل إنجازاته.. حتى نكون خالصين.. ولحقوقه كلها مؤدين.. ما قصدت أي أحد.. لا بكلمة ولا بنقد.. من المنجد أخذنا معناه.. حتى لا يظن أننا تجاهلناه.. وجريدة اسمها النخبة.. نفت عن الحمار كل سبة.. ومن ال بي بي سي.. ليس في البغل أي لبس.. ومن كتاب الأمثال.. مثل لأبنة طه وليس مقال..

أما باقي الموضوعات.. من جعبتي لا من أي كتب ولا أية مجلات.. شاكراً لرب العزة هذه النعمات.. طالباً العفو عن كل الزلات.. راجياً من كل مدرس.. أن يكون لمواهب تلاميذه متلمس.. يمكن أن يستبدل لفظة "الحمار".. بكلمة يا ابني ياشاطر، ويا أولاد ياشطار..

## الفهرس